DEUİFD XLVII/ 2018, ss. 291-322.

أثر نَزْعتَيِ التَّشَاؤمِ والتَّفَاؤُلِ فِي شِعْرِ إيليا أبِي مَاضِي

M.Murtaza ÇAVUŞ•

Abdelkarim A. M. SOLIMAN••

المَلَخَّصُ

يُمثِّلُ الشَّاعرُ إيليا أبو ماضي شاعرُ المهجرِ الأكبرُ حَالةً خاصَّةً ومُمَيَّزَةً، ليسَ بينَ شُعَرَاءِ المهجَرِ فقط، بَلْ بينَ شُعراءِ العربيَّةِ قَاطِبَةً، فقد جمعَ الشَّاعِرُ بينَ نَزْعَةِ التَّشَاؤُمِ ونَقِيضِها التَّفَاؤلِ جَمْعًا مَثَّلَ رَافِدًا من أَهَمِّ روافدِهِ الإبداعيّةِ، ومَلْمَحًا من أَبرَزِ مَلامحِهِ الفَنيّةِ.

وقد تناولتُ تلكَ المفارقَةَ الإنسانيَّةَ والفنيَّةَ لَدَى الشَّاعرِ مِن خلالِ العَرضِ التَّحْليليَّ والفَنّيّ للتَّشاؤمِ وأسبابِهِ، والتَّفاؤلِ وأسبابِهِ لدى الشَّاعرِ من خلال طرحِهِ الشّعريّ ذَاتِهِ مُستعينًا بآراء بعض النُّقادِ، وتحليلِ ومُناقشةِ هذه الآراءِ.

وقد كانَ مَرجِعي الأوّلُ في هذا التَّحليلِ وتلكَ المناقشاتِ هو أشعارُ الشَّاعرِ، لإيماني بأنَّ شِعرَ الشَّاعرِ هو الطَّريقةُ المثلى، والوثيقةُ الصادقةُ، والمرآةُ المستَويةُ التِّي يُمكِنُ أنْ نرى الشَّاعِرِ بِواسطتِها، والحقَّ أنَّ أبا ماضي كشاعر كبيرٍ جاءت أشعارُهُ سِجلًّا وافيًا لِمَسِيرةِ حَيَاتِهِ، وعرضًا واضحًا وبيِّنًا لِجُمْلَةِ أفكارِهِ وقضاياهُ الشَّخْصيَّةِ والقوميَّةِ والإنسانيّةِ، وكتابًا شَامِلاً لِتَوجُّهِهِ ومُعتنقِهِ الفِكْرِيّ والفلسفيّ.

الكلمات المفتاحيّة: إيليا أبِي مَاضِي، لتَّشَاؤم، لتَّفَاؤُل، شِعْر

• Öğr. Gör., Dokuz Eylül Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagatı Ana Bilim Dalı, murtazacavus@hotmail.com, ORCID ID orcid.org/0000-0002-1248-4829

•• Öğr. Gör. Dr., Dokuz Eylül Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagatı Ana Bilim Dalı, abdelkreemameen@yahoo.com, ORCID ID orcid.org/0000-0003-2999-1031

Makalenin Hakemlere Gönderiliş Tarihi : 21/05/2018

Makalenin Hakemlerden Geliş Tarihi : 17/07/2018

THE IMPACT OF OPTIMISM AND PESSIMISM IN ILYA ABU MADI'S POETRY

ABSTRACT

Ilya Abu Madi, the greatest poet of the immigration poetry represents a special and unique case, not only amongst the immigration poets but among all the Arab poets as well. The poet has blended the themes of optimism and its paradox pessimism in such a way that iconized one of his major creative styles and artistic features.

I have tackled this humane and artistic paradox in the poet's work through the artistic and analytical disposition of the definition and reasons of both pessimism and optimism throughout his poetry. I have also included in the study other critics' opinions, and the discussion and analysis of such opinions.

My first reference while working on such discussions and analysis was the poet's work itself, since I believe that the poet's poetry is the real and honest way and the objective mirror through which we can genuinely see the poet. Frankly speaking, the poems of the great poet Abu Madi have always been a rich record of his life and a clear disposition of his thoughts and humane, national and personal beliefs, in addition to being a comprehensive archive of all his philosophical and ideological thoughts.

Keywords: Ilya Abu Madi, Optimism, Pessimism, Poetry

İLYA EBU MAZİ'NİN ŞİİRİNDE PESİMİZM-OPTİMİZM BELİRTİLERİ/İZLERİ

ÖZ

Mehcer edebiyatının önde gelen şairi İlya Ebu Mazi, sadece Mehcer şairleri arasında değil, bilakis bütün Arap şairleri arasında özel ve seçkin bir konumu temsil etmektedir. Aksine o, tüm Arap şairleri arasında da tektir. Şair, pesimizm ve onun zıddı olan optimizm akımlarını, romantizmin ana kollarından biri ve sanatının en belirgin göstergelerinden birini temsil edecek şekilde bir araya getirmiştir. Hem öyle bir araya getirdi ki en bedîî, en yaratıcı kaynaklarını birlikte örnekleyen bir şair. Ve aynı zamanda sanatsal yönden benzerliklerini en bariz bir şekilde gösteren şair.

Şairimizdeki bu insanî ve edebî ayrışmaları, şiirlerindeki görüşleri ve bazı eleştirmenlerin görüşlerinden yararlanarak ve bu görüşleri analiz ve değerlendirerek şairimizdeki pesimizm-optimizmin sebeplerine yönelik analitik ve sanatsal bir inceleme ile ele alacağız.

Bu analiz ve tartışmalardaki asıl kaynağımız, şairimizin şiirleridir. Çünkü şairimizi değerlendirebilme aracı olarak şiirlerinin, en ideal yol, en güvenilir belge ve en düzgün yansıtan ayna olduğunu düşünmekteyiz. Şüphesiz büyük bir şair olarak Ebu Mazi'nin şiirleri, hayatının seyri noktasında yeterli bir kaynak,

tüm şahsî, millî ve insanî fikirleri noktasında apaçık bir sunum, fikrî ve felsefî ideoloji ve yönelişleri noktasında da kapsayıcı bir kitap mahiyetindedir.
Anahtar Kelimeler: İlya Ebu Mazi, Göç şiiri, Tefaul, teşaum, şiir.

إيليا أبو ماضي* بين التفاؤل والتشاؤم: –

تَمهيدٌ: –

الشَّاعرُ إنسانٌ ذُو حساسيّةٍ خَاصّةٍ، فهو أشَدُّ إحساسًا وأكثرُ تَأثُّراً وأقدَرُ تَعبيراً على الأحداثِ والقضايا التِّي تَمُرُّ بهِ وبأُسرَتِهِ وبمُجتمَعِهِ وبوطنِهِ وبأُمَّتِهِ وبالإنسانيَّةِ بِشكل] عامّ. تلكَ الحساسيَّةُ وذلكَ التَّأثُّرُ تترُكُ بَ□مَاتِها، وتُمَارِسُ سطوتَها على الشَّاعرِ نفسيّاً وإبداعاً.

وتُحاولُ هذه الدِّراسةُ أن تتناولَ تلكَ الحساسيةَ من خلالِ نزعتينِ إنسانيتين مارستا تأثيراً قويًّا على الإنسانِ عامَّةً، والمبدعِ خاصّةً في ع□رنا الحديثِ، وذلك لسرعةِ التَّغيُّراتِ العالميّةِ في كُلِّ مَجالاتِ الحياةِ، السِّياسيّةِ، والاقت□اديّةِ، والاجتماعيّةِ، والفلسفيّةِ، وقد انعكس ذلك بدوره على الإبداعِ في أجناسه المختلفةِ وبخاصَّةٍ الشِّعرَ بوصفِهِ الفنَّ العالميّ الأكثرُ رُسُوخًا وانتشاراً وتأثيراً فيما قبل الحربين العالميتين. تلكَ النَّزعتانِ أو بالأحرى الفلسفتان هما: التَّشاؤم والتَّفاؤل.

إنَّ أصلَ التَّفاؤلِ في العربيّةِ هو "التَّيمُّنُ، وهو ضِدُّ الطَّيرةِ، وهيَ ما يُتَشاءَمُ بِهِ. فالتَّفاؤلُ مأخوذٌ منَ اليُمنِ، أيّ البركة، وأصلهُ منَ اليمينِ ضِدَّ اليسارِ، فالفألُ والتَّفاؤلُ قولٌ أو فعلٌ أو حدثٌ تخلِقُ حالةً من الرضى والقبولِ والإقبالِ والاستحسان عندَ المتفائلِ، والشُّؤمُ عكسُ ذلك فشأَمَهم شَأماً أي: جرَّ عليهم الشُّؤمَ، والشُّؤمُ هو الشَّرُّ، والشُّؤمى ضدُّ اليُمنى. يُقالُ اليدُ الشُّؤمَى، والمتشائمُ: المتطيّرُ وهو مَن يُسيئُ الظَّنَّ بالحياةِ **، قال رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– فيما رواه عنه أنس– رضي الله عنه–:"لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ، ويُعْجِبُني الفألُ، قالوا: وما الفألُ؟، قالَ: كلمةٌ طَيّبةٌ" مُتّفقٌ عليه، البخاريّ رقم 5776، مُسلم رقم2224، ولمعنى التَّفاؤلِ والتَّشاؤمِ صِلةٌ بِعَقائدَ شعبيَّةٍ تركت أثرَها في الأدبِ، فاليَمينُ واليُمْنُ بَرَكَةٌ وبِشارَةٌ، والشَّمالُ شَرٌّ وشُؤمٌ"([1])، ورغم قَنَاعتي بتلكَ الـ□لةِ الوثيقةِ بينَ التَّفاؤلِ والتَّشاؤمِ ودراساتِ الفولكلور والعادَاتِ والتَّقاليدِ الشَّعبيَّةِ التِّي

([1]) محمد غنيمي هلال، قضايا مُعاصرة في الأدب والنّقد، دار نهضة م□ر، القاهرة، دت، ص66

تركت آثارها في الأدب، ومعاني الألفاظ اللُّغويَّةِ، فإنّي لا أعتمدُهُ أساسًا في دراستي؛ لأنّه"مُتَّصِلٌ بالمزاجِ والتَّقاليدِ، لا بِمَبدأٍ عقليٍّ أو فنيٍّ"([2])

إنَّ المعنى الذّي آثرناه في التّناول هو المعنى الفلسفيّ الفكريّ الذّي تركَ بَصماتِه الواضحةَ على الإنتاج الأدبيّ."فالتَّفاؤلُ Optimisme، والتَّشاؤمُ Pessimisme اسمانِ لمذهبينِ فلسفيينِ تركا أثرهما في الأدبِ في عصرٍ مُتأخرٍ، الأولى استخدمت من قبل الأكاديميّة الفرنسيّة عام1762م، والثّانية استخدمت في القرن التّاسع عشر في أوربا، وقد أصبحت مُعارِضةً لدلالة التَّفاؤلِ على يدِ شوبنهور***"([3])

وجاءَ في المورِدِ أنَّ"Pessimism" بمعنى التَّشاؤمِ؛ وهو الاعتقادُ بأنَّ عالمِنا هذا هو أسوأُ العَوالِمِ المُمْكِنةِ أو أنَّ جميعَ الأشياءِ تنزعُ بطبيعتِها إلى الشَّرِّ والاعتقادَ بأنَّ كَفَّةَ الشَّرِّ والشَّقاءِ أرجحُ في هذا العالمِ من كَفَّةِ الخيرِ والسَّعادَةِ، وأنَّ"Passismist" بمعنى المتَشائمِ أو المؤمنِ بالتَّشاؤميّةِ ([4]).

وقد ذكرَ المورِدُ أيضاً أنَّ "Optimism" بمعنى التَّفاؤليّةِ، والإيمانِ بأنَّ هذا العالمَ خيرُ العوالمِ المِمكنةِ، وأنّ الخيرَ سوفَ ينتصِرُ آخر الأمرِ على الشَّرِّ. والتَّفاؤلُ: أي: النُّزُوع إلى رؤيةِ الجانبِ المشرقِ منَ الأشاءِ، وأنّ "Optimist" أيّ: المتفائل والميَّال للتَّفاؤلِ ([5]).

([2]) نفسه، ص67

**راجع ماديّ(شأم) و(فأل) في المعاجم العربية.

([3]) نفسه، ص67

***آرثر شوبنهور (1788-1860) فيلسوفٌ ألمانيٌّ بنى فلسفته على أنّ الحياة شَرٌّ مُطلقٌ وتعاسةٌ وشقاءٌ، وذهب إلى أنّ الشَّقاءَ والعناءَ والألمَ والموتَ الأصلُ والأساسُ، وما عدا ذلكَ فهو الاستثناءُ، ورأى في الحياة أنّها صراعٌ مُستمرٌّ وقتالٌ متواصلٌ لا يهدأ.

([4]) منير البعلبكيّ، المورِد قاموس انكليزي – عربي، ص678

([5]) نفسه ص635.

وقد جاء هذا المعنى للمفردتين(الفلسفتين) المتعارضتينِ مبنيّاً على أساس النَّظرةِ إلى طبيعةِ الخير والشَّرِّ في هذا العالمِ، وحقيقةِ الـ[illegible]راعِ بينهما، فعلى حينِ"رى المتفاؤلون أنَّ الخيرَ أصيلٌ، وأنَّ الشَّرَّ عارضٌ، يرى الآخرون أنّ الشّرَّ هو الأصلُ. ويترتبُ على المسلكينِ تبريرٌ نفسيٌّ يؤثّرُ في نظرةِ كُلٍّ من الفريقينِ للحياةِ"([6]).

وعلى الرّغمِ من حداثةِ هذا المعنى للمفردتينِ من حيث الدّلالة الفلسفيّة فإنّها على المستوى الأدبيّ قديمةٌ قدمَ الإبداعِ نفسِهِ، ففي تاريخ الأدب العربيّ لدينا شاهدان بَارِزَانِ لحالتي التَّشَاؤمِ: أحدهما الشّاعرُ العبَّاسيُّ ابن الرُّوميّ وهو يُمثِّل المعنى اللُّغويّ، والآخرُ وهو الشَّاعرُ أبوالعلاء المعريّ، ويُمثّلُ المعنى الفكريّ الفلسفيّ، ومردُّ التّفاؤلِ والتَّشاؤمِ في الأدب هو أسسُ التَّفكير الإنسانيّة، والتّعبيرُ عن مُعوّقاتِ السَّعادةِ،و"هو أوّلاً وأخيراً تفكيرٌ إنسانيٌّ، له إلى جانبِ دلالتهِ على نظرةِ صاحبِهِ، نظرةُ التَّأمُّلِ إلى نُظُمٍ مَدَنيَّةٍ، تنتجُ عنها مدلولاتٌ–سواء كانت مباشرة أم غيرَ مباشرةٍ– تدّلُ بتعميقِ الإدراكِ، ومعرفةِ الوجودِ، والنَّظرِ إليه من جوانب مختلفةٍ قد تتكاملُ متى تكشَّفت عن أبعادٍ اجتماعيّةٍ، ولو من خلالِ عقائد غيبيّةٍ"([7]).

فالنُّظُمُ الاجتماعيّةُ والواقع المعيشيُّ والبيئةُ المكانيُّةُ والزّمانيّةُ عاملٌ أوَّلِيٌّ في تَوَجُّهِ النَّاسِ إلى الاتّـ[illegible]افِ بإحدى النَّزعتينِ، فهناك عـ[illegible]ورٌ مظلمةٌ فى تاريخ كل أمَّةٍ نتيجةَ تراجُعِها الحضاريّ، وإهمالها للجانب المعرفيّ، وتفـ[illegible]مَ عُرَى وحدتِها، وتفتُّتِ قُواها، وكثرةِ التَّمَذهُبِ المتَعَادِي بين أبنائها، فينتشرُ الفسادُ وتعمُّ الفوضى ويتولَّى شؤونَ البلادِ أسافِلُها، فيكثرُ الظُّلمُ وتنطفيء مشاعلُ الحريَّةِ، وتتحوَّلُ الدُّولُ إلى هِوَةٍ سَحِيقَةٍ مُظلِمَةٍ، في هذه العـ[illegible]ورِ يعتري أبناءَ هذه الأُمَمِ الخوفُ والرُّعبُ والفزعُ، وتسيطرُ عليهم الكآبةُ والتَّشاؤمُ ويمتلكُهُم شعورٌ مِنَ الشَّكِّ في حياتِهم فيسقطون فريسةً لهذا الشُّعورِ الذّي يذهب بِكُلِّ جمالٍ كَونِيٍّ بَلْ يزداد الأمرُ في ذلك إلى رفضٍ لهذا الوجودِ، ورغبةٍ في الخلاصِ مِنهِ.

([6]) محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، م س، ص68

([7]) نفسه، ص69

والحَقُّ أنَّهُ ما مِن أُمَّةٍ وتُعدَمُ من أصحابِ هذه النَّظرةِ، وللأمَّةِ العربيَّةِ تَجرِبَةٌ ليست باليسيرةِ في هذه النَّظرةِ، وربَّما كان شعر ابن الروميّ والمتَنبّي وأبي العلاء وليدَ نِتَاجِ هذه التَّجرِبَةِ.

ويُعَدُ شعراءُ الدِّيوانِ، والمهجَرِ، وأَبُولُّلو امتداداً لهذه التَّجرِبَةِ التَّشاؤميَّةِ الحزينةِ نظراً لِمَا كانت تُعاني منه الأُمّةُ العربيَّةُ من صراعاتٍ ضاعفت من آلامِ وأوجاعِ هؤلاء الشُّعراءِ.

ولشعراءِ المهجرِ تجربةٌ فريدةٌ وحادَّةٌ رُبَّما لم تَمُرّ بالكثير من أقرانِهم من شعراءِ العربيَّةِ حيثُ تضافرت عليهم مجموعةٌ منَ العواملِ والأسبابِ التّي أعطت تجربَتَهم شكلاً خاصّاً ومُمَيّزاً عن غيرها منَ التَّجاربِ الأُخرَى، فالأدبُ المهجَرِيُّ في جُملَتِهِ" أدبٌ مُبَلَّلٌ بالدَّمعِ، مُجَلَّلٌ بالأسَى، مُتَّشِحٌ بالسَّوادِ يَعتَرِيهُ الشَّكُّ والتَّساؤلُ، وتَعرِفُ به الحيرةُ والتَّردُّدُ، وتترقرقُ فيه الأنغامُ الشَّاكيةُ الحزينةُ"[8]

ويُمثِّلُ الشَّاعرُ إيليا أبوماضي شاعرُ المهجرِ الأكبرُ حَالةً خاصَّةً ومُمَيَّزَةً، ليس بين شعراء المهجَرِ فقط، بل بينَ شُعراءِ العربيَّةِ قَاطِبَةً، فقد جمع الشاعر بين نزعة التشاؤم ونقيضها التفاؤل جمعًا مَثَّلَ رَافِدًا من أَهَمّ روافدِهِ الإبداعيّةِ، ومَلْمَحًا من أَبرَزِ ملامحِهِ الفنيّةِ.

وقد تناولتُ تلكَ المفارقَةَ الإنسانيَّةَ والفنيَّةَ لَدَى الشَّاعرِ مِن خلالِ العَرضِ التَّحْلِيليَّ والفَنِّيّ للتَّشاؤمِ وأسبابِهِ، والتَّفاؤلِ وأسبابِهِ لدى الشَّاعرِ من خلال طرحِهِ الشّعريّ ذَاتِهِ مُستعينًا بآراء بعض النُّقادِ، وتحليلِ ومُناقشةِ هذه الآراءِ.

وقد كانَ مَرجِعي الأوّلُ في هذا التَّحليلِ وتلكَ المناقشاتِ هو أشعارُ الشَّاعر نفسِهِ لإيماني بأنَّ شِعرَ الشَّاعرِ هو الطَّريقَةُ المثلى، والوثيقةُ الصادقةُ، والمرآةُ المستَويةُ التِّي يُمكِنُ أنْ نرى

([8]) شاعرٌ لُبنانيٌّ مُعاصرٌ وُلِدَ عام 1889، هاجرَ من لُبنانَ إلى مصرَ عام1902م، وعمل بالتجارة، ثم هاجر إلى الولايات الأمريكية عام 1912م، شارك في تأسيس الرّابطة القلمية، أصدر بعض الدواوين أهمُّها: (تذكار الماضي، الجداول، الخمائل، تبر وتراب)، يُعدُّ واحداً من أكبر شعراء المهجر والشعراء العرب المعاصرين، تُوفِيَ عام 1957م.

حسن جاد، أدب المهجر، دار الطِّباعةِ المحَمَّدِيَّةِ، الطَّبعةُ الأولى، 1963م، القاهرة، ص262.

الشَّاعِرِ بِواسطتِها، والحقَّ أنَّ أبا ماضي كشاعر كبيرٍ جاءت أشعارُهُ سِجلًّا وافيًا لِمَسِرةِ حَيَاتِهِ، وعرضًا واضحًا وبيّنًا لِجُمْلَةِ أفكارِهِ وقضاياهُ الشَّخْصِيَّةِ والقوميَّةِ والإنسانيّةِ، وكتابًا شَامِلاً لِتَوجُّهِهِ ومُعتنقِهِ الفِكْرِيّ والفلسفيّ.

الدِّراساتُ السَّابِقَةُ:-

هناك الكثير منَ الدِّراساتُ التّي تناولت ظاهرتي التّفاؤلِ والتَّشاؤمِ، ولكنّ أغلبها جاء فُصولاً مُتناثرةً في ثَنايا بعضِ المؤلّفاتِ، وقد وجدتُ دراساتٍ قليلةٍ أُفرِدَت لِهاتينِ الظَّاهرتينِ ومع هذه القِلّةِ فإنَّ هذه الدِّراساتِ لم تجمع بينَ الظَّاهرتينِ، بل تناولت إحدى الظَّاهرتينِ، ومن أهمِّ الدّراساتِ التّي اطَّلعَ عليها الباحثُ ما يلي:

1- التَّشاؤمُ في شِعرِ أبي العلاءِ المَعَرّي وعبدالرحمن شُكري، هادي نظري منظم، وخاطرة أحمدي، مجلة إضاءات نقديّة، العدد الثّاني، شتاء 2013م.

2- تشاؤم المتنبي وما أُعِدَّ لهذا التَّشاؤم، مجلة الرسالة، خليل هنداوي/ عدد 176، 1936/11/16م.

3- إيليا أبوماضي شعر التّفاؤل دراسة نفسيّة، ماجستير، نباتي أمينة، كليّة الآداب واللُّغات، قسم اللغة العربيّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2017م

تَقْدِيمٌ: -

ينقسمُ النَّاسُ في إقبالِهم على الحياةِ إلى فريقينِ، فريق يُقْبِلُ عليها مَحْزُوناً مُبْتَئساً، لا يراها إلّا شُؤمًا ونُكْراً وظُلمَةً ما وراءها ظُلمةٌ، وآخر يُقبِلُ عليها فَرِحاً مُبتَهِجاً، لا يراها إلّا فَأْلاً وخيراً ونوراً ما فوقه نورٌ، غير أنَّ هناك فريقاً أخذ منَ الفريقينِ بطرفٍ فأوقعَ النَّاسَ في حَيرَةٍ من أَمْرِهِ، وكثرت التَّساؤلاتُ حولَ مذهبِهِ، واتَّسعَ النِّقَاشُ واحتدمَ الجِدَالُ حولَ تَصنِيفِهِ إلى أيّ الفريقين ينتمي وخاصّة إذا كان أديباً أو فيلسوفاً.

من هذا المنطلقِ الثَّالثِ وقف شاعرُنا أبو ماضي مِمَّا أوقعَ الكثيرَ من مُتَنَاوِلِي شعرِهِ في حيرةٍ وريبٍ حولَ مذهبِ الرَّجُلِ في إقبالِهِ على الحياة، فما من أحدٍ تَصَدَّى لشعرِ أبي ماضي أو

شعرِ المهجرِ إلّا واستوقَفَهُ موقفُ أبي ماضي هذا، فعلى حينِ يراه الدُّكتورُ طَهَ حُسَين أنَّهُ شاعرٌ" متشاؤمٌ مِسرِفٌ في التَّشاؤمِ، يزدري النَّاسَ والحياةَ، فهو يذهب في تـ□ويرِ هذا كُلِّهِ مذهبَ أبي العلاءِ والخَيَّامِ وشُوبِنْهَوَر وغَيرِهِم مِنَ المتشَائمِينَ"[9] نرى الدُّكْتُورَ شوقي ضّيف يضعُهُ على رأسِ شعراءِ التَّفاؤلِ والإقبالِ على الحياةِ من شعراءِ المهجرِ، فيقولُ: " ولعلَّ المهاجِرَ الأمريكيّ لم يعرف فى هذا القرنِ شاعراً كان أكثرَ تفاؤلاً ودعوةً إلى الإقبالِ على الحياة من إيليا أبي ماضي"[10] بل إنَّ أبا شادي وهو من غيرِ المعْجِبينَ بشعرِ أبي ماضي يرى أنَّ خيرَ شِعْرِ أبي ماضي هو الدَّاعي إلى التَّفاؤلِ والتَّمتُّعِ بالدُّنيا ونعيمِها يقول: " أبو ماضي" لا يعيشُ إلَّا في جوانبَ قليلةٍ من شعرِهِ، أهمُّها مَحَبَّةُ الحياةِ والتَّمَتُّعُ بِها"[11]

ويقولُ: " وَنَعْتَقِدُ أَنَّ شِعْرَهُ فِي هَذا البَابِ ذُو فَائدَةٍ عَظِيمَةٍ"[12]

ويرى زهيرُ مِيرزا في مقدّمَتِهِ التَّحليليَّةِ الجميلةِ لشعرِ أبي ماضي أنَّ التَّفاؤلَ نزعةٌ إنسانيَّةٌ عميقةُ الجذورِ في نفسِ الشَّاعرِ وإن كان يَعْلُوها بينَ الحينِ غبارُ الزَّمنِ فيخلعُ على بهائِها وجمالِها مسحةً منَ الكآبةِ والحزنِ والأسَى [13]

على حين يرى البعضُ أنَّ شعرَهُ يحمل النَّزعتينِ معاً وإنْ غلبَت إحداهما على الأخرى، فالدُّكتورةُ نادرة جميل السّرّاج تُقِرُّ دعوةَ الشَّاعرِ إلى التفاؤلِ والابتسامِ، غير أنَّها ترى أنَّها دعوةٌ تعوزُها تطبيقُ الشَّاعرِ على نفسِهِ، فابتسامةُ الدَّاعي إليها تُخفِي خلفَها كآبةً وحزناً يـ□عبُ

(9) طه حسين، حديث الأربعاء، ج 3، دار المعارف، القاهرة، ط12، ص 168.

(10) شوقي ضيف، دراسات فى الشعر العربى المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1979ص 181.

(11) محمد غنيمي هلال، رائد الشعر الحديث، القاهرة، ط 1، 1953، ص 220.

(12) محمد عبد المنعم خفاجي، قـ□ة أدب المهجر، دار الكتاب اللُّبناني، بيروت، دت.ص 518.

(13) زهير ميرزا، أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، دار اليقظة العربية، بيروت، دت، ص 79.

زحزحتُهُ، فأبو ماضي يدعو النَّاسَ إلى مذهبِ التَّفاؤلِ والابتسامِ ولكنَّهُ لا يُطَبِّقُهُ، إذ أنَّ نفسَهُ لا تَطيقُ وتَأبَى إلّا الزُّهدَ في الدُّنيا والبُعدِ عنِ اللَّذَاتِ وإظهارِ الجِدِّ والرَّزانةِ " [14]

ونحن لا نقرُّ رأيَ الكاتبةِ في أنَّ نفسَ الشَّاعرِ لا تَقْبَلُ إلّا الزُّهدَ في الدُّنيا والبُعدِ عنِ اللَّذاتِ، فأبو ماضي هو شاعرُ المهجرِ الأكبرِ في الدَّعوةِ إلى الإقبالِ على الحياةِ وملذَّاتِها واقتناصِ كُلِّ ما يُمكِنُ اقتناصُهُ من هذه المتَعِ والملذَّاتِ لإيمانِهِ بحقيقةِ الفناءِ وخوفِهِ الدَّائمِ وقلقِهِ الذّي لا يَنفَطِعُ من شَبحِ الموتِ، كما أنَّ شاعرَنا لم يكن مُغرِقاً في الصُّوفيَّةِ والتَّزهدِ، فلم ينقطعِ عن المجتمعِ، ولم يتجرَّد من حياته لله معبودِهِ مُنصَرِفاً عنِ الحياةِ وملذَّاتِها، فقد " يبلغُ اليأسُ بأبي ماضي إلى نوعٍ منَ التَّشاؤمِ، ولكنَّهُ لم يكن مُترهِّباً دائماً للطَّبيعةِ أو مُتجرِّداً لله ـ فنانه الأعظم ـ مُنصَرِفاً عن النَّاسِ، قد انقطعتِ الصِّلةُ بينه وبينهم، مُتوقِّعاً لأسوأِ الحالاتِ على الدَّوامِ، مُغَلِّباً جانب الشَّرِّ على جانبِ الخيرِ، فإنَّ هذه صفاتُ التَّشاؤمِ الصُّوفيِّ بمعناه الصَّحيحِ[15]

ويعلِّق الدُّكتورُ مُحمّد عبدالمنعِم خفاجي على جداولِ أبي ماضي بأنَّنا نجدُ فيه نزعةَ الحيرةِ والتَّفاؤلِ جدّ ظاهرة [16]

ويُرجِعُ الدُّكتورُ حسن جاد تجاورَ نزعتي التَّفاؤلِ والتَّشاؤمِ في نفسِ أبي ماضي إلى فلسفتِهِ وعُمقِ تأمُّلِهِ في الحياةِ والوجودِ يقول: " وهو بعدُ فيلسوفٌ رُوحِيٌّ، عميقُ التَّأمُّلِ في الحياةِ والوجودِ، تعاورَت نفسَه الإنسانيَّة مختلفُ النَّوَازعِ والعواطفِ، فترجَّحَ بين الشَّكِّ واليقينِ، والسَّعادةِ والكآبةِ، والإقبالِ على الحياةِ والهروبِ منها، والخلودِ والفناءِ، ونحو ذلك، وإن كانت إرادةُ الحياةِ القويّةِ عنده انتزعت نفسَهُ من ضَبابِ اليأسِ إلى ما غلبَ عليه آخر الأمرِ من التَّغنّي بالحُبِّ والبهجةِ والجمالِ" [17]

([14]) نادرة جميل السراج، شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص 305.

([15]) عبد المجيد عابدين، بين شاعرين مجددين، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1963، ص 50.

([16]) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، م س، ص 405.

([17]) حسن جاد، الأدب العربى فى المهجر، م س، 472.

ويرى الدُّكتورُ أنس داود أنّ تقلُّبَ أبي ماضي بين التفاؤلِ والتَّشاؤمِ يعودُ إلى نوباتٍ مزاجيّةٍ حادَّةٍ كانت تعتريه تبعاً لظروفٍ خارجيّةٍ عنه كما أنّه يرى أنّ ذلك التَّقلُّبَ بين التَّشاؤمِ والتَّفاؤلِ كان خيراً للشّعر وثروةً للفكرِ [18]

فإيليا أبو ماضي ذاقَ حلاوةَ مرارتِها فغنَّى للآلمِ كَمَا غنَّى للذّةِ، وحفلَ شعرُهُ بتمجيدِ الحياةِ، وتَفَقُّدِ مواطنِ البهجةِ فيها، والنَّعي على المتشائمِينَ والعابسين، كما حفل باليأسِ واحتقارِ كُلِّ لَذّةٍ في

الحياةِ والإحساسِ بعبثيّةِ الوجودِ ما دامَ كُلُّ شيءٍ ينتهي إلى الفناءِ [19]

وعلى الرَّغمِ مِن كثرةِ هذه الآراءِ واختلافِ تعليلاتِها وتأويلاتِها فإنَّ الحقيقةَ الثَّابتةَ هي وجودُ نَزْعَتَي التَّفاؤلِ والتَّشاؤمِ وتجاورُهما في شعرِ أبي ماضي، ومن ثَمَّ فسوفَ نُقدِّمُ بإيجازٍ أسبابَ كُلِّ نزعةٍ على أنَّنا يجبُ أن نُقَرِّرَ حقيقةً نَراها، وهي أنَّ الطَّبيعةَ الإنسانيّةَ قابِلَةٌ وجامعةٌ للمُتناقِضاتِ الحَيَاتِيَّةِ، فالإنسانُ يتأثَّرُ كثيراً بمزاجِهِ وبحالتِهِ المزاجيَّةِ، فالمزاجُ الإنسانيُّ ليس ذا طبيعةٍ استقاميَّةٍ خارجيَّةٍ أو داخليَّةٍ، وقد كانت نفسيَّةُ أبي ماضي جامعةً لهذا الموقفِ المتناقِضِ منَ الحياةِ الجامعِ بينَ الإقبالِ والهُروبِ، والتَّفاؤلُ والتَّشاؤمُ، وربَّما كان أبو ماضي مُدْرِكًا لهذا، فأرادَ أنْ يُقَدِّمَ بفكرٍ فلسفيٍّ حقيقةَ موقِفِهِ، فيعطي مُبرِّرَاتٍ للتَّشاؤمِ، ومُبرِّراتٍ للتَّفاؤلِ.

أوَّلاً: تشاؤمُهُ وأسبابُهُ:

اجتمعت على الشَّاعرِ بجانبِ الفقرِ والأحوالِ المادِيَّةِ القاسيةِ مجموعةٌ من العواملِ والأسبابِ التَّي كانت مُوَلِّدَةً لنزعةِ التَّشاؤمِ عندَ الشَّاعرِ منها.

([18]) أنس داود، التَّجديد فى شعر المهجر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص 222.

([19]) صابر عبدالدايم، أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993، ص 816.

1 . الغُربةُ والحنينُ وهو عاملٌ اشتركَ فيهِ جميعُ شعراءِ المهجرِ شمالاً وجنوبًا، ومن قصائدِهِ التَّي تحملُ ذلك قصيدتُهُ اليائيَّةُ التَّي يُعَارِضُ فيها يائيَّةَ (مالكِ بنِ الرَّيبِ) في الشَّكوى والحُزنِ منَ الموتِ بعيدًا عنِ الأهلِ والوطنِ، وعنوانُها " دُمُوعٌ وتَنَهُدَاتٌ " [20] يقولُ:

ألا ليتَ قلبًا بينَ جَنْبَيَّ دَامِيًا ... أَصابَ سَلْوًا أو أصابَ الأَمَانِيا
أَجَنَّ الأسَى حتَّى إذا ضاقَ بالأسى ... تَدَفَّقَ مِن عَيْنَيَّ أَحْمَرَ قَانِيا
تَهِيجُ بِيَ الذِّكْرَى البثُوقُ ضَوَاحِكا ... وتُغْرِي بِيَ الوَجْدَ الطُّيُورُ الشَّوَادِيا
فَأبْكِي لِمَا بِي مِنْ جَوَىً وَصَبَابَةٍ ... وَأَبْكِي إذا أَبْصَرْتُ فِي الأَرْضِ بَاكِيا
فَلا تَحْسَبَانِي أَزْرِفُ الدَّمْعَ عَادَةً ... ولا تَحْسَبَانِي أُنْشِدُ الشِّعْرَ لاهِيا
وَلَكِنَّهَا نَفْسِي إذا جَاشَ جَأْشُها ... وَفَاضَ عَلَيها الهَمُّ فَاضَتْ قَوَافِيا
أَحِنُّ إلى تِلْكَ المِغَانِي وَأَهْلِها ... وأَشْتَاقُ مَنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ المِغَانِيا
وَكَيفَ اغتِبَاطُ المَرْءِ لا أَهْلَ حَوْلَهُ ... ولا هُوَ مَنْ يَسْتَعْذِبُ القُوَ نَائيا

والقصيدةُ كُلُّها في تَذَكُّرِ لبنان وأحوالِها.

2 . ثاني عواملِ التَّشاؤمِ واليأسِ في شعرِ أبي ماضي هو حالُ أمَّتِهِ ويأسُهُ مِن تغييرِ هذا الحالِ المتَرَدِّي الذِّي جعلَ مِنَ الشُّعُوبِ العربيَّةِ شُعُوباً تابعَةً لِمَن سَلَبَ منها حُقُوقَها ونَزَحَ خيراتِها وشَتَّتَ خِيرَةَ أبنائها، وقد أظهرَ الشَّاعِرُ ذلكَ اليأسَ في قصيدتِهِ " وَدَاعٌ وشَكْوَى"[21] وهي مِنْ جَيدِ شِعرِهِ، واسمُها يحملُ الكثيرَ مِمَّا نُريدُ إثباتَهُ، فهو في قصيدتِهِ يَائسٌ مِنْ وطنِهِ:

وَطَنٌ أَرَدْنَاهُ عَلَى حُبِّ العُلَى ... فَأَبَى سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إلى الشَّقا
وَطَنٌ يَضِيقُ الحُرُّ ذَرْعًا عِنْدَهُ ... وَتَرَاهُ بالأحرَارِ زَرعًا أضْيَقا
مَشَتِ الجَهَالَةُ فِيهِ تَسْحَبُ ذَيْلَها ... تِيهًا، وَرَاحَ العِلْمُ يَمْشِي مُطْرِقا

([20]) زهير ميرزا، أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، م س، ص 816.

([21]) نفسه، ص 510.

وهو وإنْ كانَ يائسًا من وطنِهِ فهو أيضًا يائسٌ من أبناءِ وطنِهِ الذّينَ خذلوا بلادَهُم ورَضوَا بالمذَلَّةِ والمهانةِ، يحكمُهم ويتحكَّمُ فيهم الجهلُ والفوضى والتَّفرُّقُ:

شَـعْبٌ كَمَـا شَـاءَ التَّحَـاذُلُ والهَـوَى مُتَفَـــرِّقٌ وَيَكَـــادُ أَنْ يَتمَزَّقـــا
لا يَرْتَضِـــي دِيـــنَ الإلَـــهِ مُوَفِّقـــا بَـــيْنَ القُلُـــوبِ ويَرْتَضِـــيهِ مُفَرِّقـــا
لا يَعْتَـــقِدُ بِالعِلْمِ وَهُـــوَ حَقَّـــائقُ لَكِنَّهُ اعتَـــقَدَ التَّـــمَائمَ والرُّقَـــى

وهو يائسٌ منَ الحكومةِ الخائنةِ التّي لا يشغلُها إلّا ظُلمُ شعبِها وقهرُهُ ومُعاداتُهُ.

وَحُكُومَـــةٌ مَـــا إنْ تَزَحْـــزَحَ أَحْمَقـــا عَلَـــى رَأْسِـــها حَـــتَّى تَـــوَلَّى أَحْمَقـــا
رَاحَـــتْ تُنَاصِـــبُنا العَـــدَاءَ كَأَنَّمَـــا جِئنَـــا فَـــرِّياً أَوْ أَتَينَـــا مَوْبِقـــا
وَأَبَتْ سِـــوَى إرْهَـــاقِنا فَكَأَنَّـــما كُـــلُّ العَدَالَةِ عِنْـــدَها أَنْ نُرْهَـــقا

ثُمَّ هو ليسَ يائساً من لبنانَ فحسب، بلْ مِن كُلِّ البلادِ العربيَّةِ، فالحالُ في جميعِها سَواءٌ:

بَغْـــدَادُ فِي خَطَـــرٍ وَمِـــرُ رَهِينَـــةٌ وَغَـــدا تَنَـــالُ يَـــدُ المطَـــامِعِ جَلَقـــا
ضَـــعُفَتْ قَوَائمُهـــا وَلَمَّـــا تَرْعَـــوِي عَـــنْ غَيِّهـــا حَـــتَّى تَـــزُولَ وتُمْحَقـــا
قِيْلَ اعشَقُوها قُلْتُ: لَمْ يَبْـــقَ لَنـــا مَعَها قُلُـــوبٌ كَي نُحِـــبَّ وَنَعْشَقـا

وقصيدة" أُمَّةٌ تَفْنَى وأنتُم تَلْعَبُون " للشَّاعرِ، كُلُّها منَ النَّغمِ المتشائمِ الحزينِ نتيجةً لِمَا آلَ إليه لبنانُ من مجاعةٍ وأحوالٍ مُؤلِمَةٍ وأحداثٍ مُثيرةٍ مُؤسِفَةٍ، وليس بعد فناءِ أُمَّةِ الإنسانِ من سببٍ يُهَيّجُ الأحزانَ ويُنَمّي الأحزانَ ومنها قولُهُ:

لا أَرَى لِي مِـــن هُمُـــومِي مَهْـــرَبا فَهِـــيَ فِي هَـــذَا وَذَيَاكَ الطَّرِيـــقِ
فِي الـرُّبَى، فَـوقَ الـرُّبَى، تَحْـتَ الـرُّبَى فِي الفَضَـاءِ الرَّحْـبِ، فِي الـرَّوضِ الأَنِيـقِ
في اهتِزَازِ الغُـصْنِ، فِي نَفْـحِ الصَّـبا فِي انسِجَامِ الغَيْثِ، فِي لَمْـحِ البُـرُوقِ

كُلَّمَا أَوْمَضَ بَرْقٌ أَو أَضَـاء

بِتُ أَشْكُو فِي الدُّجَى وَقْعَ السِّهام

فِي ابتِسَامِ الفَجْرِ للمَرْضَى الشِّفَاء

فِي ابتِسَامِ الفَجْرِ فِيهِ لِي سِقَام [22]

3. وثالثُ العَوامِلِ في تَشَاؤُمِ أبي ماضي ما ذَكَرَهُ الدُّكتورُ شَوقِي ضَيف وهو انضمامُهُ إلى شُعَرَاءِ الرَّابِطَةِ القَلَمِيَّةِ وتَاثُّرُهُ بِهِم وبِآرائِهِم وفلسفتِهِم والتِّي كانَ التَّشاؤمُ والحُزنُ أحدَ مَلامِحِها، فأبو ماضي تَعتَرِيه بتأثيرِ جُبرَان ورِفَاقِهِ أحوالٌ نفسيَّةٌ مُختَلفةٌ، يشعرُ فيها بالألمِ الإنسانيّ، ولكنْ لا يَلْبَثُ أنْ يَرتَدَّ إلى تفاؤلِهِ، وكأنَّما كان التقاؤهُ بِهِم ومَعِيشَتُهُ مَعَهُم بِمَثَابَةِ ضَغْطٍ شَدِيدٍ على شَاعِرِيَّتِهِ [23]

ونحنُ نعترفُ ونُقِرُّ التَّأثُّرَ الواضحَ على شعرِ أبي ماضي بفكرِ الرَّابِطَةِ وآرائها وفلسفتِها في الحياةِ، غير أنَّنا لا نُقِرُّ أنَّ حُزنَ أبي ماضي وتشاؤمَهُ وَلِيدُ اتِّصالِهِ بالرَّابطةِ وانضمامِهِ لها، فالشَّاعِرُ هاجرَ إلى أمريكا بَعدَ أنْ رَسَخَتْ قَدماهُ وذَاعَ صِيتُهُ وشُهْرَتُهُ في البُلدَانِ العربيَّةِ كَمَا أنَّ تشاؤمَ أبي ماضي نَتَجَ مِن تأمُّلِهِ في الحياةِ وما وراءَ الحياةِ، وفي مشاكل الوجودِ، قضايا الفناءِ والخُلُودِ، واستجلاءِ غَوَامِضِها واستكشافِ أسرارِها وخَفَايَاها، وهذه التِّي ألهبت إحساسَ إيليا وهيَّجَت حَيرَتَهُ، ودَفَعَتهُ إلى التَّامُّلِ والتَّفكيرِ، وأفضَتْ بِهِ إلى الحَيرَةِ والقَلَقِ، حتَّى قبلَ أنْ يَتَّصِلَ بالرَّابِطَةِ القلميَّةِ، وقبلَ أنْ يَتَّصِلَ بفلسفَتِها التَّأمُّلِيّةِ، التِّي كانتِ قَصِيدَةُ"الطَّلاسِم"مِن أَثَارِها[24]

فهو منذ أول عهده بالغربة يقول:

أُفَكِّرُ كَيفَ جِئْتُ وَكَيْفَ أَمضِي ... عَلَى رَغْمِي فَأَعْيَا بِالجَوَابِ
أَتَيتُ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي مَجِيئِي ... وَأَذْهَبُ غَيرَ دَارٍ بالإيَابِ
إذا كَانَ المَصِيرُ إلى التَّلاشِي ... فَلِمَا جِئْنَا وَكُنَّا فِي حِجَابِ
وإنْ كَانَ المَصِيرُ إلى خُلُودٍ ... فَمَا مَعْنَى المَنِيَّةِ والتَّبَابِ

(22) زهير ميرزا، أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، م س، ص 675.

(23) شوقي ضيف، دراسات فى الشعر العربى المعاصر، م س، ص 182.

(24) حسن جاد، الأدب العربى فى المهجر، م س، ص 266.

أمـــــــورٌ لا يُحِيـــطُ بِهِنَّ فِـــــكْرٌ وَلَو أَمْـــسَى يُحِيطُ بِكُلِّ بَـــابِ [25]

فَتَأمُّلاتُ أبي ماضي وتَسَاؤلاتُهُ الميتَافِيزِيقِيَّةُ، وحيرتُهُ، وشكُّهُ سابقت في وجودها انضمامَهُ للرابطَةِ

4. الموتُ: يُعَدُّ الموتُ والخوفُ مِنْهُ، والشُّعُورُ بِالعَجْزِ والضَّعْفِ عن مواجهةِ قُوَى الطَّبيعَةِ والقُوَى الغَيبِيَّةِ من أكبرِ عَوامِل تشاؤمِ أبي ماضي، وذلكَ لِمَا كانَ للموتِ مِن تأثيرٍ في حياةِ أبي ماضي، ولَمَّا كانَ أبو ماضي " ضنينًا جدّاً بالحديثِ عن نفسِهِ وعن حياتِهِ " [26] كانت حياتُهُ مَثَارَ اختلافٍ بينَ مُتَنَاوِلِيّ شِعْرِهِ وأَدَبِهِ.

يَلِفُ الدُّكتورُ شوقي ضيف حياةَ أبي ماضي قائلاً: ويظهرُ أنَّ حياةَ أبي ماضي نفسِهِ كانت وَادِعَةً سَهلَةً، فلم تَعْلِفْ بهِ ولا بقلبِهِ عاصفةُ التَّشاؤمِ الشَّدِيدِ التَّي نَجِدُهَا عِندَ جُبرَانَ ورِفَاقِهِ [27]

ويَلِمُهَا الدُّكتورُ عبد اللطيف شرارة بقوله:" ليسَ في حياةِ أبي ماضي أَثَرٌ، أو مَظْهَرٌ لِمَا تَعَوَّدَ النَّاسُ رُؤْيَتَهُ أو انتِظَارَهُ في حَيَوَاتِ الشُّعَرَاءِ من صَخَبٍ، فقد مَرَّتْ أَيَامُهُ كُلُّها على هذا الأَدِيمِ، دَونَ حَادِثَةٍ أو تَجْرِبَةٍ غَيرِ عَادِيَّةٍ، لقد عاشَ وعملَ وهاجرَ وتَزَوَّجَ ورُزِقَ أولاداً، وكانَ مُوَفَّقاً إلى حَدٍّ بَعِيدٍ في مَعَيشتَهَ وعملِهِ وهِجرَتِهِ وزَوَاجِهِ وأولادِهِ"[28]

وعلى العكسِ من ذلك يرى الأستاذُ عيسى الناعُورِيُّ في حدِيثِهِ عن حياةِ أبي ماضي: "وليسَ صَحِيحًا أنَّ حَيَاتَهُ ليسَ فِيها ما يَنْفَعُ فُضُولَ أحَدٍ، فإنَّهُ لم يَلِلْ إلى المَنْزِلَةِ التَّي وصلَ إليها إلَّا

([25]) نفسه، ص 266.

([26]) عيسى الناعوري، إيليا أبو ماضي، رسول الشعر العربى الحديث، دار الطباعة والنشر، بيروت، ط 2، د ت، ص 16.

([27]) شوقي ضيف، دراسات فى الشعر العربى المعاصر، م س، ص 182، 183.

([28]) جورج ديمتري سليم، إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، دار المعارف، القاهرة، 1977م، ص 11

بِجِهادٍ عِـامِيٍّ طويلٍ، تقلَّبَ فيهِ على الشَّوكِ والجَمرِ والحِرَابِ طَوِيلاً، قبلَ أنْ يَعرِفَ جَنْبَاهُ الفِرَاشَ المُرِيحَ"[29]

ويقولُ جُورجُ دِيمِتْرِي سليم في دِرَاستِهِ عنِ الشَّاعِرِ وأشعَارِهِ المجهُولَةِ: لم تَكُنْ حياةُ أبي ماضي كُلُّها سَعَادَةً وهَنَاءً، ولكِنَّها كانت حياةً مُتَأَرْجِحَةً بينَ السَّعَادَةِ حِيناً والشَّقَاءِ حِيناً آخر، بَلْ لَعَلَّ الشَّقَاءَ كانَ لهُ الكَفَّةُ الرَّاجِحَةُ في حياتِهِ [30]

والحَقُّ: أنَّ حياةَ أبي ماضي كانت إلى الاستقرارِ أقرَبَ مِنها إلى الاضطرَابِ، ونفسُهُ أقربَ إلى الهُدُوءِ مِنها إلى التَّمَرُّدِ، كَمَا أَنَّ حَظَّهُ من الحياةِ كانَ طيّباً مَوفُوراً، فهو وإنْ كانَ مَرَّ بِتَجْرِبَةِ الهِجْرَةِ مَرَّتَينِ من لبنانَ إلى مِـرَ، ومن مِـرَ إلى أمريكا، إلَّا أنَّهُ كانَ مُوَفَّقاً في حياتِهِ الأدَبِيَّةِ والشَّخـصِيَّةِ في هِجْرَتِهِ، فقد رَسَخَت قَدَمَاهُ وذَاعَ صِيتُهُ، وانتشرَ شِعرُهُ في آفاقِ مَوطِنِهِ ومَهْجَرِهِ، وحَقَّقَ استقراراً مَادِيّاً، وتَزَوَّجَ من فَتَاةٍ من أُسرَةٍ طَيِّبَةٍ، وهي دُورثي ابنةُ نَجيب مُوسَى دِيَاب صَاحِبِ جَرِيدَةِ (مِرآةُ الغَربِ) النيويوركية، ويُبكَرُ بابنٍ يُسمّيهِ ريتشاردُ، ثُمَّ أنشاءَ مَجَلَّةَ "السَّمِير" وهي منَ المجَلَّاتِ النَّاجِحَةِ التِّي استمرَّ إصدارُها طِيلَةَ حَيَاةِ الشَّاعِرِ، فما في حياتِهِ شَيءٌ يَدعو إلى التَّشاؤمِ ويَدفَعُ إلى الشَّكِّ والحُزنِ، وبِرُجُوعِنا إلى سِيرَةِ الشَّاعِرِ وشِعرِهِ استَوقَفَنا حَدَثٌ تَكَرَّرَ في حياةِ الشَّاعِرِ وظهرَ أثَرُهُ على شِعرِ الشَّاعِرِ ونَفْسِيَتِهِ، هذا الحَدَثُ هو الموتُ، فقد كانت أُسرَةُ أبي ماضي على مَوعِدٍ مَعَ الموتِ وفَجِيعَتِهِ، إذ هَاجَمَ الموتُ الأسرةَ مَراتٍ، وخَطَفَ فيها زَهرَاتِ الأسرَةِ ورَيَاحِينَ شَبَابِها، فَتُوفِيَ طاينوسُ رابعِ الأُخوَةِ وهو بجانبِ إيليا بمِـرَ عام 1909م في رَيعَانِ شَبَابِهِ، ويَتَكَفَّلُ أبو ماضي بِدَفنِهِ ويَرثِيهِ بقَـيدَةِ " البَدْر الآفل"[31] ومنها قولُهُ:

أَبَعْـدَكَ يَعْـرِفُ الـصَّـبْرَ الحَـزِينُ وَقَـدْ طَاحَـتْ بِمُهْجَتِـهِ المَنُـونُ؟

([29]) عيسى الناعوري، إيليا أبو ماضي، رسول الشعر العربي الحديث، م س، ص 17.

([30]) جورج ديمتري سليم، إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، م س، ص 12.

([31]) زهير ميرزا، أبو ماضى شاعر المهجر الأكبر، م س، ص 684.

عَجِيبٌ أن تَعِيشَ بِنَا الأمَانِي وَأنَّا لِلأَمَانِي نَسْتَكِينُ
وَمَا أَرْوَاحُنا إلّا أَسَارَى وَمَّا أَجْسَادُنا إلَّا سُجُونُ
وَمَا فِي الكَونِ مِثْلُ الكَونِ فَانٍ كَمَا تَفْنَى الدِّيَارُ كَذَا القَطِينُ
فَيَا لَهْفِي لِأُمِّكَ حِينَ يَدْوِي نَعْيُكَ بَعْدَ مَا طَالَ السُّكُونُ
وَلَهْفَ شَقِيقِكَ النَّائي بَعِيداً إذا مَا جَاءَهُ الخَبَرُ اليَقِينُ
سَتَبْكِيكَ الكَوَاكِبُ فِي الدَّيَاجِي كَمَا تَبْكِيكَ فِي الرَّوضِ الغُصُونُ
وَيَبْكِي إخْوَةٌ قَدْ غِبْتَ عَنْهُم وَأُمٌّ ثَاكِلٌ وَأَبٌ حَزِينُ

وقد كانَ موتُ طانيوس دَافَعاً قَوياً لِهجرَةِ أبي ماضي إلى أمريكا ليكونَ بِقُربِ أخِيهِ الأكبرِ مُرَادٍ وفي آخر مارس 1916م يَتوفّى اللهُ أخاهُ الثَّالِثَ (دِمِتْرِي) مُنتَحِراً وهو لم يَبلُغِ العِشرِينَ من عُمرِهِ فَيَرثِي أخاهُ الثَّانِي بقَصِيدَةٍ منها:

لَوعَةٌ فِي الضُّلُوعِ مِثْلُ جَهَنَّمْ تَرَكَتْ هَذِهِ الضُّلُوعَ رَمَاداً
بِتُّ مَرْمَىً للدَّهْرِ بِي يَتَعَلَّمْ كَيفَ يُجْحِي القُلُوبَ وَالأَكْبَاداً
كَيفَ يَنْجُو فُؤَادُهُ أَو يَسْلَمْ مَنْ تَمَادَى بِهِ الأَسَى فَتَمَادَى؟
أنا لولا الشُّعُورُ لَمْ أَتَأَلَّمْ لَيتَ هَذا الفُؤادَ كَانَ جَمَادا
كيفَ لا أَبْكِي وفِي العَينِ دُمُوع كَيفَ لا أَشْكُو وَفِي القَلْبِ صُدُوع
قَلَّ فِي النَّاسِ مَنْ صَبَرَ مُخْتَاراً [32]

ثُمَّ يُتَوفَّى إبراهيمُ خامسُ الأُخوَةِ خِلالَ الحَربِ العَالمِيَّةِ الأُولى في المِحَيدِثَةِ مَسقَطِ رَأسِ الشَّاعِرِ، وفي عامِ 1923 تُتَوفَّى أُختُهُ (أُوجِيني) يَتَوَفَّاها اللهُ إثرَ وِلادَتِها الأُولَى، وفي عامِ 1931 يَأتِيهِ نَعيُ أبيهِ منَ المِحَيدِثَةِ، وكانَ لِهذِهِ الوَفَاةِ المُفاجِئَةِ، بَعِيداً عنِ العَائِلَةِ وَقْعُها في إيليا، فَرَثَى أباهُ بِقَصِيدَةٍ مِنها:

أَبِي، حَنَانَيْ فِيكَ الرَّدَى فَتَفَوَّضَتْ مَقَاصِيرُ أَحْلامِي كَبَيتٍ مِنَ التِّبنِ

(32) إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، م س، ص 14.

فَلَـيسَ سِـوَى طَعْـمِ المنِيَّـةِ فِي فَمِـي وَلَـيسَ سِـوَى صَـوتِ النَّـوَادِبِ فِي أُذُنِي
أبحـت الأسـى دمعـى وأنهبتـه دمـى وَكُنْـتُ أُعِـدُّ الحُـزْنَ ضَـرْباً مِـنَ الجُـبْنِ
أحتى وداع الأهل يحرمه الفتى؟ أَيَا دَهْرُ هَذَا مُنْتَهَى الحِيفِ والغَبَنِ [33]

وفي هذا دليلٌ قويٌّ منَ الشَّاعِرِ على أنَّ الموتَ وفَوَاجِعَهُ كانَ العاملَ الأقوَى في حُزنِ الشَّاعِرِ وألمِهِ وخَوفِهِ المميتِ القَلِقِ دائمًا منَ الموتِ، فتَوَشَّحَ بِوِشَاحِ التَّشَاؤمِ والتفَّ بِعَبَائةِ الشَّكِّ والرَّيبِ منَ الحياةِ وجمالِها.

كانت هذِهِ الوَفِيَّاتُ المتَتَابِعَةُ في عائلةِ الشَّاعِرِ ذاتَ أَثَرٍ كبيرٍ في نفسيَّتِهِ وموقِفِهِ منَ الحياةِ وذَلِيبِهِ منها، فالموتُ يَتَرَبَّصُ بالإنسانِ، والإنسانُ في جَهلٍ وغَفْلَةٍ عنهُ لا يَعرِفُ منهُ سُوَى اسمِهِ، فإذا ما حانَتِ المنيَّةُ انقضَّ على الإنسانِ انقضاضَ الأسدِ الغَضُوبِ فأخذَهُ أخذاً، وقطعَ صلَتَهُ بالحياةِ، والشَّاعرُ يَعترِفُ بأنَّهُ يَحِيرُ في هذا الموتِ، هذا العدو المجهول الذِّي يَتَّلِفُ دائماً بالغَلَبَةِ فما هَاجَمَ إنساناً إلَّا صَرَعَهُ وهو معَ ذَلِكَ سِرٌّ غَامِضٌ على كَثرَةِ ما قِيلَ فيهِ وعنهُ:

فَـأَكْثَرُ أَهْـلِ الأَرْضِ مَعْرِفَـةً بِـهِ كَـأَكْثَرِهِم جَهْـلاً، يَـرْجُمُ بِالظَّـنِّ
فَيَا لَكَ سِفْراً لَمْ يَزَلْ جَدّ غَامِضٌ عَلَى كَثْرَةِ التَّفْـلِيلِ فِي الشَّرْحِ وَالمتْنِ [34]

كانَ الموتُ بذلكَ ذا تاثيرٍ فَعَّالٍ وتَوجِيهٍ قَويٍّ في تشاؤمِ الشَّاعِرِ وتفاؤلِهِ معاً، فقد أصابَ الموتُ بضربَاتِهِ العنيفةِ الشَّاعرَ بنوعٍ منَ اللامُبَالاةِ والعَبَثِ بالحَياةِ، والخُنُوعَ واليَأْسَ منها، ويستوي عندَهُ الخيرُ والشَّرُّ والطُّمُوحُ والقُعُودُ، مُطَعِّمًا نظرتَهُ تِلْكَ بِنَوعٍ منَ الحِكمَةِ والفَلسَفَةِ السَّاذِجَةِ الَّتِي لا تُقْنِعُنا، غيرُ أنَّها في الحَقِّ نِتَاجُ هذِهِ النَّفسِ التِّي اهتَزَّت واضطربت نتيجةَ هذا الإِراعِ الغيرِ مُتَكَافِئٍ معَ قُوَى الحياةِ وخاصَّةً الموتَ، ومن قائِدِهِ التَّي تُعَبِّرُ عن نظرتِهِ تلكَ قَيدَةُ (بَرِّدِي يا سُحب من ظَمَأي)[35] ففي هذِهِ القَيدةِ "يأسٌ مُحَبَّبٌ، مَقْبُولٌ، يَقَعُ منَ النَّفسِ

([33]) إيليا أبوماضي، الخمائل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004، ص 125.

([34]) نفسه، ص 128.

([35]) إيليا أبوماضي، الجداول، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1972، ص 93.

مَوقِعًا رَضِيًّا طَيِّبًا فَتَتَقَبَّلُهُ تَقَبُّلاً جميلاً، لا لِتَسْتَسْلِمَ بعدَها لليأسِ والهَمِّ، وإنَّما لِتَجِدَ في كُلِّ شَيءٍ زَوَالاً، فيأسُهُ بَنَاءٌ لا هَدْمٌ"[36] لذلكَ فهو رَاضٌ عنهُ:

رَضِيَتْ نَفْسِي بِقِسْمَتِها فَلْيُرَاوِدْ غَيرِي الشُّهُبا

ويدعو الشَّاعِرُ في قَصِيدَتِهِ تِلكَ إلى الاعتِمَادِ على الحَوَاسِ كَوَسَائل للمَعْرِفَةِ واليَقِينِ، غير أنَّ هذِهِ الدَّعوةَ تَسُوقُ صاحِبَها إلى اللامُبَالاةِ، وعَدَمِ الاكتِرَاثِ بالأمورِ الغيبيَّةِ الهَامَّةِ، كالبعثِ والحشرِ والحسابِ والعقابِ، فالإنسانُ ابنُ اليومَ الذِّي يَحيَاهُ وعليه ألَّا يُفَكِّرَ في الغَدِ لأنَّهُ لا يَلْمَسُهُ في يَومِهِ:

مَا غَدٌ؟ يَا مَنْ يُحَاوِرُهُ لِي شَيئًا رَائِعًا عَجَبا
مَا لَهُ عَيْنٌ وَلا أَثَرٌ هُوَ كَالأَمْسِ الذِّي ذَهَبا

وقد قادَهُ ذلكَ في أحيانٍ إلى تَبَلُّدِ إحسَاسِهِ، أو على الأقلِّ مُحَاولةُ التَّبَلُّدِ الإحسَاسِيّ حتَّى لا يشعرُ بآلامِ الحياةِ ومَآسِيها، فهو يَرغَبُ أنْ يَكُونَ صَخْرَةً صَمَّاءَ عليها ألَّا تَحِسَّ وألَّا تَشعُرَ:

كُنْتُ حَتَّى مَعَ ضَمِيرِي أَمْسَ فِي حَرْبٍ عُوانِ
لا أَرَى فِي الخَمْرِ مَعْنى وَلَكِنْ فِيهَا مَعَانِ
لَمْ يَعُدْ قَلْبِي كَالبَرْ قِ شَدِيدِ الخَفَقَانِ
لَمْ تَعُدْ نَفْسِي كَال نَّجْمَةِ ذَاتِ اللَّمَعَانِ
بِتُّ لا أَبْكِي لِمَظْ لُومٍ ولا حُرٍّ مُهَانِ
صِرْتُ كَالصَّخْرِ سَوَاءٌ هَادِمٌ عِنْدِي وَبَانِ [37]

([36]) زهير ميرزا، إيليا ابو ماضي شاعر المهجر الأكبر، م س، ص 73.

([37]) إيليا أبوماضي، الجداول، م س، ص 117. 118.

على إنَّنا نرى أنَّهُ كَمَا كانَ الإيمانُ بالموتِ والفناءِ والزَّوالِ سَبَبًا في تشاؤمِ الشَّاعِرِ ويأسِهِ فقد كانَ كذلكَ سَبَبًا في دَعوَتِهِ إلى التَّفاؤلِ والتَّرغِيبِ فِيهِ، وهذا ما سوف أستشهدُ بِهِ في قائِدِهِ المِسْتَبْشِرَةِ والدَّاعِيَةِ إلى التَّفَاؤلِ والإقبالِ على الحياةِ.

ثَانِياً: تَفَاؤلُ الشَّاعِرِ:

يَكَادُ يُجمِعُ كُلُّ مَن تَنَاوَلَ الشَّاعِرَ وشِعرَهُ، أنارُهُ ومُعَارِضُوهُ، مُحِبُّوهُ ومُبغِضوهُ، على تَفَاؤليَّةِ الشَّاعِرِ وإقبالِهِ على الحياةِ، ودعوتِهِ إلى التَّمتُّعِ والالتذاذِ بِمُتَعِ الحياةِ ومباهِجِها، والنَّظرِ إلى جمالِها ومَفَاتِنِها، حتَّى إنَّ الذِّينَ قَدَحوا في شاعريَّةِ الرَّجُلِ وَوَجَّهوا سِهَامَ نَقدِهِم إلى شِعرِهِ، لم يستطيعوا أنْ يَغفِلوا أو يَتَنَاسَوا أهمِيَّةَ هذِهِ الدَّعوَةِ عندَ الشَّاعِرِ، فأبو شادي وهو من غيرِ المعجَبِينَ بشعر أبي ماضي يقولُ عنه:" وأبو ماضي لا يَعِيشُ إلَّا في جوانبَ قليلةٍ من شعرِهِ، أهمُّها مَحَبَّةُ الحياةِ والتَّمتُّعُ بِها"[38]

ومعَ مُخَالَفَتِنا لِرَأي أبي شادي في الشَّاعِرِ إلَّا أنَّهُ يَدُلُّ على قِيمَةِ وأهمِيَّةِ دعوةِ أبي ماضي للتفاؤلِ وحُبِّه للحياةِ والإقبالِ عليها، ومبلغِ نجاحِهِ في دعوتِهِ، وتأثيرِهِ في مُتَلَقِّيهِ من حيثُ الاستبشارِ وتَنَاسِي الهُمُومِ، ورُؤيَةِ ما وراءَ الغُيُومِ، والتَّمَسُّكِ بتلابيبِ الأملِ، وهي دعوةٌ جَدِيرَةٌ باهتمامِ النُّقَّادِ والقُرَّاءِ على السَّوَاءِ، لِمَا للدّعوةِ من تأثيرٍ جَلِيلٍ على أبناءِ أُمَّةٍ كادت أحزانُها وآلامُها أنْ تُحَوِّلَ شعراءَها إلى رَثَّائينَ أو بَكَّائِينَ ومُبْكِينَ أو مُخْبِطِينَ ومُحْبَطِينَ، فعادوا يُدِيرون أشعارَهم في (قِفَا نَبْكِ) و" أَعَيْنَيَّ جُودا ولا تَجْمُدَا " و " لَيلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ "، إلى غيرِ ذلكَ من عِبَارَاتِ اليَأسِ والقُنُوطِ، لقد جاءَ وعاشَ في هذِهِ الحِقْبَةِ السَّوداءِ من تاريخِ الأُمَّةِ العربيَّة، فَرَابَهُ ما هي فيهِ وما عليه أبناؤها وشعراؤها، فحملَ حملتَهُ الجميلةَ على دُعَاةِ التّشاؤمِ والقنوطِ، وأخذ يُفَنِّدُ حُجَجَهُم، ويَدحَضُها في طريقةٍ حُوَارِيَّةٍ جميلةٍ حملتِ الكثيرَ من وسائلَ الإقناعِ والإمتاعِ، مِمَّا كَفَلَ لها النَّجَاحَ، فأبو ماضي" شاعرٌ إنسانِيٌّ مِثَاليٌّ اجتماعيٌّ، يَدِينُ بالمحَبَّةِ المطلَقَةِ، ويَستَهدِفُ سَعَادَةَ المجتَمَعِ البشرِيّ، ويُحِبُّ الحياةَ، ويُحَبِّبُها إلى النَّاسِ، ويَعْشَقُ الحُرِّيَّةَ

([38]) محمد عبد المنعم خفاجي، رائد الشعر الحديث، م س، ص 220.

ويُقَدّسُها، يَهتَمُّ بالطَّبيعَةِ ويستلهِمُها، ويَتبعُ شعرَهُ دائماً بعباراتِها، ويَدِينُ بمذهَبِها في التَّسامُحِ والحُبِّ [39].

ولعلَّ المهاجرَ الأمريكي لم يعرفْ في هذا القرنِ شَاعِراً كانَ أكثرَ تَفَاؤلاً ودعوةً إلى الإقبالِ على الحياةِ من إيليا أبي ماضي [40] بل أراني لَسْتُ مُبَالِغاً إذا قلتُ بينَ شُعراءِ العربيّةِ المعَاصرينَ جميعاً.

والذّي منحَ تفاؤلَ أبي ماضي هذه الدَّرجةَ وهذا القَدْرَ من اهتمامِ الدَّارِسينَ والنُّقَادِ أنَّهُ ليسَ تفاؤلاً سَاذِجاً أو هَزْلِيًّا، أو تفاؤلاً الغرضُ منهُ العبثُ واللَّهو، أو هو وليدُ نتاجٍ لعَبَثِيَّةِ شَاعِرٍ غيرِ مُكْتَرِثٍ بالكونِ وربّهِ وأسرارِه، ولا غيرِ عَابِئٍ بدورِهِ وخُطُورتِهِ في مجتمعٍ يُؤمِنُ بدورِ الشَّاعِرِ ويتأثَّرُ بهِ ويعرفُ قدرَ الكلمةِ وسَطْوَتَها على الأفهامِ، بل هو تفاؤلٌ وليدُ فِكْرٍ وتأمُّلٍ عَمِيقٍ في الحياةِ وأسرارِها، في الخالقِ والمخْلُوقِ، وما يُلِيبُ المخلوقَ من فناءٍ وخُلُودٍ، هو تفاؤلٌ عارِكَ التَّشَاؤمَ وخَبُرَهُ، ووقفَ على حُجَجِهِ وعِلَلِهِ، وفَهِمَها وَوَعَاها، وربطَ بينَها وبينَ الوجودِ الإنسانيّ، فوجدَ أنَّ ما مِن مَيزَةٍ للتَّشاؤمِ سُوَى أنّه يُنَغِّصُ حياةَ الإنسانِ، ويُحِيلُ كُلّ جَمَالٍ إلى قُبْحٍ، ويَذْهَبُ بِمَلَذَّاتِ الحياةِ ومُتَعِها، ويَطْمِسُ كُلَّ ما أوجدَهُ اللهُ لإسعادِ البشرِ والتَّسْرِيةِ عنهم، ويُخْمِدُ كُلَّ عَزِيمَةٍ، ويَقْتُلُ كُلَّ أَمَلٍ، ويَخْلِطُ بينَ الألوانِ، ويُعَاظِلُ بينَ الحَقِّ والباطِلِ، حتَّى يُحِيلَ حياةَ الإنسانِ إلى بُرْكَانٍ نَشِطٍ يَقْذِفُ بِحِمَمِهِ الحَارِقَةِ التَّي تَحْرِقُ مَبَاهِجَ الحياةِ وزِينَتَها.

لقد أدركَ أبو ماضي سَلبيَّاتِ التَّشاوُمِ، وما يَجُرُّهُ على الإنسانِ من أضرارٍ بعدَ أن عانى أبو ماضي نفسُهُ من ذلكَ، مِمَّا أعطى تجربتَهُ صِدْقاً وقُوَّةً، لقد ظَلَّ أبو ماضي يَبحثُ عنِ الرِّضا، ويَنْشُدُ السَّعادةَ في مَظَانِّها فَتَخَلْخَلَتْ نفسُهُ بينَ النَّجَاحِ والإخفاقِ، فرَضِي حِيناً وسَخَطَ حِيناً.

كَذَلِكَ لَمْ يَقِفْ أبو ماضي على مَذْهَبٍ شِعْرِيّ واحدٍ، بل تَنَقَّلَ بينَ مَذَاهب الشِّعرِ، وكانَ لكُلِّ مذهبٍ عواملُهُ وأسبابُهُ ومرحلتُهُ الخاصَّة بِهِ، فقد بدأ كلاسيكيًّا، ثُمَّ اتَّخذَ المذهبَ

([39]) حسن جاد، الأدب العربى فى المهجر، م س، ص 472.

([40]) شوقي ضيف، دراسات فى الشعر العربى المعاصر، م س ص 181.

الرُّومانتيكي في مُنتَ□فِ عمرِه، وفي السَّنواتِ الأُولى مِن هِجرَتِه، وخاصَّةً في مرحلةِ يأسِهِ وتشاؤمِهِ، ثُمَّ خَتَمَ بالمذهبِ الوَاقِعِيّ، وهذا ما ظهرَ فيهِ بوضوحٍ دعوتُهُ إلى التَّفاؤلِ.

وكذلكَ لم يقفْ على آلةٍ واحدةٍ في استِكْناهِ العَالَمِ، ومُعَالَجَةِ قَضَايَاهُ، بل تَعَدَّدَتْ أدواتُهُ في تَخْ□يلِ المعرفةِ والتَّعامُلِ معها، بينَ الاعتمادِ على الحِسِّ أو العقلِ أو القلبِ، فهو تارةً ساذجٌ، وتارةً فيلسوفٌ، وأخرى صوفِيٌّ، ذلك مِمَّا دفعَ البَعْضَ إلى الحكمِ بإلحَادِهِ، والبعضَ إلى اعتبارِهِ مُؤمِنا شَدِيدَ الإيمانِ يَرْقَى إلى مَرْتَبَةِ الـ□وفِيَّةِ.

وهذا ما لاحظَهُ مُؤَلِّفا كتابِ (الشِّعرُ العَربِيُّ في المهْجَرِ): إذ يقولان:" ظَلَّ أبو ماضي في دورِهِ العَاطِفِي يُنَادِي بالمحَبَّةِ، ويُمَجِّدُ الغَابَ، حتَّى استكشَفَ نفسَهُ تحتَ أضواءٍ جديدةٍ، هي أضواءُ العقلِ، فثارَ على الغَابِ حِينَ وَجَدَ نَفْسَهُ، وفي دورِ العَقْلِ تَحَطَّمَتْ رُمَانتِيكِيتُهُ أو كادَتْ، ومَلَكَ عليهِ الشَّكُّ أَقطَارَ نَفْسِهِ، فلم يَعُدِ الغَابُ ولا المحَبَّةُ قَادِرَينِ عَلَى دِرَاسَاتِهِ"[41]

وبَقِيَ هكذا بينَ شَدٍّ وجَذْبٍ، وبينَ تَأَثُّرٍ برومَانسِيَّةِ الرَّابِطَةِ القَلَمِيَّةِ، وتفاؤلٍ يَ□طَدِمُ بتشاؤمِهِم، في صِرَاعٍ نَفْسِيٍ بينَ الإحساسِ بآلامِ الحياةِ الإنسانيَّةِ والإحساسِ بالمتْعَةِ، حتّى استقامَ لهُ الطَّرِيقُ آخر الأمرِ، فَظَلَّ يَهتِفُ بالأملِ، ويَضْحَكُ للدُّنيا ويُبَشِّرُ بالسَّعادَةِ، ويُجَمِّلُ الحياةَ، إلى أنْ مَلأَ الدُّنيا بأغارِيدِهِ البَاسِمَةِ، وأغانيهِ المتَفائلَةِ، واستقلَّ بهذا الجانبِ الضَّاحِكِ أو كادَ من دونِ أُدَبَاءِ المهجَرِ [42]

وقد كانَ لتفاؤلِهِ أسبابُهُ ودعائمُهُ التِّي حَدَتْ بالشَّاعرِ إلى النَّظرِ إلى الجانبِ المشرِقِ المضِيءِ من الحياةِ، وقد أشارَ كُلٌّ من محمد عبد الغنى حسن [43]، والدكتور شوقى ضيف [44] إلى

([41]) إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، الشعر العربي فى المهجر، أمريكا الشمالية، دار صادر، بيروت، ط9، 1967، ص 81.

([42]) حسن جاد، الأدب العربى فى المهجر، م س، ص 287.

([43]) محمد عبد الغني حسن، الشعر العربى فى المهجر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955، ص 70.

([44]) شوقي ضيف، دراسات فى الشعر العربى المعاصر، م س، ص 182.

تاثُّرِ أبي ماضي بوالدِهِ في تفاؤلِهِ وبشاشَتِهِ، غير أنَّنا لا نتوكَّأُ على عُذ□رِ الوِراثَةِ بِمُفْرَدِهِ في تفسيرِ الظَّاهِرَةِ لأنَّ تاثيرَهُ لا يكونُ كبيرَ أثرٍ خاصَّةً مع أديبٍ وشاعرٍ كبيرٍ كأبي ماضي له فلسفتُهُ ومُعتَقَدَهُ الذّي اكتسبَهُ مِن كَثْرَةِ اطّلاعِهِ واعتِرَاكِهِ معَ الحياةِ.

كَمَا أرجَعَ مُؤَلِّفا كِتابِ (الشِّعرُ العَرَبِيُّ فِي المهْجَرِ) الظَّاهِرَةَ إلى واقعيَّةِ أبي ماضي فهو دائماً " مُتَيَقِّظٌ إلى الحقيقةِ الواقعيَّةِ، شَدِيدُ التَّشَبُّثِ بِها، وإنْ نَظَرَ إليها، في بَعْضِ الأحيَانِ، مِن خِلالِ مِنْظَارٍ مِثَالِيٍّ، وهذا سِرٌّ إنْ تَعَرَّفَ إليه القَارِئُ، أدركَ مِن أينَ استمدَّ أبو ماضي عِنَادَهُ القَوِيَّ لِكَي لا يَطِيرَ بِأَجْنِحَةِ جُبْرَان أو يعيشَ في صَومَعَةِ نعيمة، أو يَجُوبَ عَالَمَ المِثَالِيَّاتِ ودوريشٍ زاهدٍ مثل رشيد أيوب " [45]

وهو يتفقُ معَ ما ذهبَ إليهِ الدُّكتورُ عبد المجيد عابدين إذ يقولُ:" وأبو ماضي واقعيُّ النَّزعةِ، عَلَّمَتهُ الغربةُ والنَّشأةُ والبيئةُ العِلْمِيَّةُ أنْ يكونَ يَقِظاً مُتَفَتِّحَ الذِّهنِ، حَرِي□اً على اللَّذَّةِ"[46]

وبِجَانِبِ العِامِلِ الوِرَاثِيّ، والنَّزعَةِ الوَاقِعِيَّةِ التِّي أخذَ بها الشَّاعِرُ، نَجِدُ فِكرَ الشَّاعِرِ ومُعتَقَدَهُ وفلسفتَهُ الخاصَّةَ بِهِ التِّي يَتَشَكَّلُ منها إنتاجُهُ الشِّعرِيُّ، وأبو ماضي كشاعرٍ فإنَّ أوَّلَ ما شغلَهُ هو دَورُ ووظيفَةُ الشَّاعِرِ في المجتَمَعِ، وهو لم يَقرِضِ الشِّعرَ من أجلِ إمتاعٍ شخ□يٍّ، وإنَّما اتَّخَذَهُ خَادِماً ومُ□لِحاً للمُجتَمَعِ وأفرادِهِ وقَضَايَاهُم، ومن هُنَا نَفهَمُ كثرةَ القَضَايا الاجتماعيَّةِ الوَارِدَةِ في شعرِ أبي ماضي ووفرَةَ إنتاجِهِ فيها، وأبو ماضي من أجلِ ذلكَ رفعَ من قيمةِ ودورِ الشَّاعِرِ في قَومِهِ وأُمَّتِهِ، فهو ليسَ بِمَعْزِلٍ عنهم، وإنّما هو قائدُهم ورائدُهم بَلْ ونَبِيّهُم، يَقُولُ:

إنَّمَا نَحْنُ مَعْشَرُ الشُّعراءِ يَتَجَلَّى سِرُّ النُّبُوَّةِ فِينا [47]

([45]) إحسان عباس، محمد يوسف نجم، الشعر العربي فى المهجر، م س، ص 136.

([46]) عبد المجيد عابدين، بين شاعرين، إيليا أبو ماضي، وعلى محمود طه، م س، ص 49.

([47]) إيليا أبوماضي، الجداول، م س، ص 73.

والشَّاعِرُ بِمَا يَمْلكُهُ من قُدْرَاتٍ، وبما يَتَّصِفُ بِهِ من صِفَاتٍ ومُمَيِّزَاتٍ تَجْعَلُهُ أقدرَ على رُؤيَةِ ما يَجْهَلُهُ الآخرونَ، وأفْصَحَ تَعْبِيراً عنهم، يَقُولُ:

وَيَرَى أُفُولَ النَّجْمِ قَبْلَ أُفُولِهِ وَيَرَى فَنَاءَ الشَّيءِ قَبْلَ فَنَائِهِ (48)

وهو بذلكَ يُوَجِّهُ حَيَاتَهُ وشِعْرَهُ لِغَيرِهِ لا لِنَفْسِهِ:

هُوَ مَنْ يَعِيشُ لِغَيرِهِ وَيَظُنُّهُ مَنْ لَيْسَ يَفْهَمَهُ يَعِيْشُ لِذَاتِهِ (49)

من هذا التَّعريفِ السَّامِي للشَّاعِرِ ودَورِهِ في مُجتَمَعِهِ ومُشَارَكَتِهِ الإيجابِيَّةِ معَ أفرادِهِ، نَستطيعُ أنْ نقولَ أنَّ إيمانَ أبي ماضي بهذا الدَّورِ وتِلكَ الوظيفَةِ كانَ عَامِلاً هَامّاً ودَافِعاً قَوِيّاً لِدَعوَةِ الشَّاعِرِ إلى التَّفاؤلِ والاستبشارِ، فليسَ مِن المقبولِ أنْ يسوقَ الرَّائدُ والنَّبِيُّ قومَهُ إلى حيثُ ظلامِ الكآبَةِ، وقَتَامَةِ اليأسِ، حيثُ تَتَبَدَّدُ الأحلامُ، وتَتَلاشَى الأمانِيُّ، وبذلكَ يسودُ المجتمعَ نوعٌ منَ التَّخَبُّطِ واللامُبَالاةِ وعَدَمِ الجَدْوَى مِن حياتِهِ.

وقد تَوَلَّدَ من هذا العاملِ عاملٌ آخرُ هو الإباءُ والتَّرفُّعُ، فالشَّاعرُ يدعو إلى الابتسامِ وإنْ كانَ قلبُهُ مَلِيئاً بالأحزانِ، فهو يُؤثِرُ السَّعَادَةَ، ويدعو إلى إخفاءِ الهُمُومِ والأحزانِ، فالشُّجَاعُ الحَقُّ عندَهُ هو:

الشُّجَاعُ الشُّجَاعُ عِنـدِي مَنْ أَمْ سَى يُغَنِّي والدَّمْعُ في الأجْفَانِ (50)

وهو يرى أنَّ الدَّمعَ يُزْرِي بالأحرارِ ويُسْقِطُ مِن إباءِ وكِبرِياءِ الإنسانِ:

وَلَكِـنِّي امـرِؤٌ للنَّـاسِ ضِـحْكِي وَلِي وَحْـدِي تَبَـارِيحِي وَحُـزْنِي
وَتَأَبَّى كِبرِيَائِـي أَنْ يَـرَانِي فَـتَى مُغْرَوْرِقـاً بِالـدَّمْعِ جَفْـنِي
فَأَسْـتُرُ عَبْـرَتِي عَنْـهُ لِـئلا يَضِـيقَ بِهَـا وإنْ هِـيَ أَحْـرَقَتْنِي

(48) زهير ميرزا، ديوان إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، م س، ص 414.

(49) نفسه، ص 417.

(50) إيليا أبوماضي، الخمائل، م س، ص 123.

أَقُـــولُ لِكُـــلِّ نَـــوَّاحٍ: رُوَيـــدًا فَـــإنَّ الحُـــزْنَ لا يُغْـــنِي، وَيُضْـــنِي
وَجَدْتُ الدَّمْعَ بِالأَحْرَارِ يُـزْرِي فَلَيتَ الدَّمْعَ لَمْ يُخْلَقْ بِجَفْـنِ [51]

ويقولُ الدُّكتورُ حسن جاد في أسبابِ تفاؤلِ أبي ماضي:" وأحيانًا يكونُ هذا التَّفاؤلُ والرِضا نَاشِئاً عنِ اليأسِ منَ اليأسِ نفسِهِ، والضِّيقِ بالألمِ الذِّي لم يجدْ شيئاً، ولم يَنتَهِ إلى شيءٍ، والاستراحةِ إلى الواقعِ، حملَ النَّفسَ على التَّطبُّعِ بِهِ والاطمئنانِ إليهِ، كَمَا قد يكونُ البَاعِثُ عليهِ هو الوصُولُ إلى حَلٍّ يُقنِعُ النَّفْسَ في تأمُّلِها وتفكيرِها في الحياةِ والوجودِ" [52]

لذلكَ رأيناهُ يُعَبِّرُ عن رِضَاهُ بالمقَادِيرِ، واستسلامِهِ بالواقِعِ والمقسُومِ، يَقُولُ:

رَضِيتْ نَفْسِي بِقِسْمَتِهَا فَلْيُرَاوِدْ غَيرِي الشُّهُبا
مَا غَدٌ يا من يُ□وِّرُهُ لِي شَيْئاً رَائعاً عَجَبا
مَـــا لَـــهُ عَـــينٌ ولا أَثَـــرٌ هُـــوَ كَـــالأَمْسِ الـــذِّي ذَهَبـــا
اســـقِنِي الـ□ـــهْبَاءَ إنْ حَضَـــرَتْ ثُمَّ صِـــفْ لِي الكَـــأْسَ وَالحَبَبـــا
إنْ صِـــدْقاً لا أَحِسُّ بِـــــهِ هُوَ شَيئٌ يُشْـبِهُ الكَذِبـــا [53]

وأبو ماضي يُؤمِنُ بِعَجزِ الإنسانِ عنِ تغييرِ الأمورِ القَدريَّةِ المحْتُومَةِ على الإنسانِ، ومِن ثَمَّ فعليهِ أنْ يَقبَلَها راضياً مُستَبشِراً حتَّى لا يُضَيِّعُ على نَفسِهِ التَّمتُّعَ بحياتِهِ القـ□ـيرَةِ، فالإنسانُ بِتَكَدُّرِهِ وتَشَاؤمِهِ إنَّما يتعاونُ على مُضَاعَفَةِ هذِهِ الآلامِ وتلكَ المعَانَاةِ، فما للعُبُوسِ من فائدةٍ:

أَيُّهَا العَابِسُ لَنْ تُعْطَي عَلَى التَّقْطِيبِ أُجْرَه
لا تَكُنْ مُرّاً ولا تَجْعَلْ حَيَاةَ النَّاسِ مُرَّة

([51]) نفسه، ص 62.

([52]) حسن جاد، الأدب العربي فى المهجر، م س، ص 275.

([53]) إيليا أبوماضي، الجداول، م س، ص 27.

فَتَهْلَلَ، وتَرَنَّمَ، فَالتَّقِيُّ العَابِسُ صَحْرَة [54]

على أنَّ أهمَّ الدَّوَافِعِ وراءَ تفاؤلِ أبي ماضي ودعوتِهِ إليه إنَّما هو حُبُّهُ للحياةِ وتَمسُّكُهُ بها وإقبالُهُ عليها، ومن ثَمَّ رأيناه يتأثَّرُ بالفلسفةِ الأبِيقُورِيَّةِ (****)، والكأسِ واللَّذَّةِ الخَيَّامِيَّةِ(*****) التِّي تَدعو إلى انتهابِ اللَّذَّةِ وانتهازِ المتعَةِ، قبلَ أنْ تَفْلِتَ فُرصَةُ العُمرِ، وهي فلسفَةٌ تَتَوَائمُ وتَتَوَافَقُ معَ فلسفتِهِ الشَّخ□يَّةِ، لذلكَ رأيناهُ يُكثِرُ من ذكرِ الخمرِ والكأسِ كأداةٍ للمُتعَةِ واللَّذَّةِ وكوسيلةٍ لِنسيانِ الآلامِ والأحزانِ، يقول:

تَعَـــــــالِي نَتَعَاطَاهَـــــــا كَلَـــونِ التِّـــبْرِ أَو أَسْـــطَعْ
وَنْسْـــقِي النَّـــرْجِسَ الوَاشِـــي بَقَـــايا الـــرَّاحِ فِي الكَـــأسِ
فَـــلا يَعْـــرِفُ مَـــا نَحْـــنُ ولا يُبْ□ـــرُ مَـــا نَ□ـــنَعْ
وَلا يَنْقُـــلُ عِنْـــدَ الـ□ـبْـــ ـــحِ نَجْـــوَانا إلى النَّـــاسِ
تَعَـــالِي نَسْـــرِق اللَّـــذَّا تِ مَـــا سَـــاعَفَنا الـــدَّهرُ
وَمَـــا دُمْـــنَا وَمَـــا دَامَـــتْ لَنـــا فِي العَيْـــشِ آمـالُ [55]

وَيَقُولُ:

واخلِـــقْ لِنَفْسِـــكَ بِالمُدَامَـــةِ جَنَّـــة فِي الأَرْبُـــعِ المَهْجُـــورَةِ والأَدْرَاسِ
الحُبُّ فِيـــــها بُلْبُلٌ وَخَيـــمَة وَنَـدَى وَأَضْـوَاءٌ عَلَـى الأَغْـــرَاسِ
(56)

وهو يدعو إلى تركِ ما لا يُجْدِي البَحْثُ عنهُ، فيخاطبُ حبيبتَهُ سَلْمَى قائلاً:

مَاتَ النَّهَارُ ابنُ الـ□بَاحِ فَلا تَقُولِي كَيفَ مَات

([54]) إيليا أبوماضي، الخمائل، م س، ص 174.

([55]) إيليا أبوماضي، الجداول، م س، ص 30.

([56]) إيليا أبوماضي، الخمائل، م س، ص 92.

إنَّ التَّأمُّلَ فِي الحياةِ يُزِيدُ أَوْجَاعَ الحَيَـــــــاة

فَدَعِي الكَآبَةَ وَالأَسَى وَاستَرْجِعِي مَرَحَ الفَتَاة

قَدْ كَانَ وَجْهُكِ فِي الضُّحَى مِثْلَ الضُّحَى مُتَهَلِّلاً

فِيهِ البَشَاشَةُ وَالبَهَاءُ، لِيَكُنْ كَذَلِكَ فِي المِسَاء [57]

فالإنسانُ عندَ أبي ماضي ابنُ لحظتِهِ ويومِهِ وعليهِ أنْ يتمتَّعَ بهذا اليوم، وعليهِ أنْ يُقَلِّلَ التَّفْكِيرَ فِي الهُمُومِ كَي لا تَطُولَ:

فَتَمَتَّـــعْ بِالـــبْحِ مَـــا دُمْـــتَ فِيـــهِ ولا تخـــفْ أنْ يـــزولَ حـــتَّى يـــزولا

وإذا ما أظـــــلَّ رأسَـكَ هَـــــمٌّ قَلِّـــرِ البَحْثَ فِيهِ كَيْلاً يَطُولا [58]

وأبو ماضي في دعوتِهِ إلى التَّفاؤلِ اعتمدَ على الطَّبِيعَةِ وعناصرِها التَّي من خلائلها العطاءُ والإثمارُ والخضرةُ والنَّضارُ والأزهارُ مهما طالَ الخريفُ واشتدَّتِ العواصفُ أو تساقطتِ الثُّلُوجُ أو نالَ منها الإنسانُ.

كُـــنْ هِـــزَاراً فِي عُشِّـــهِ يَتَغَـــنَّى وَمَـــعَ الكَبْـــلِ لا يُبَـــالِي الكُبُـــولا

كُـــنْ غَـــدِيراً يَسِـــيرُ فِي الأَرْضِ رَفْرَاقـــاً فَيَسْـــقِيَ مِـــن جَانِبَيـــهِ الحُقُـــولا

كُنْ مَـــعَ الفَجْرِ نَسْمَةً تُوَسِـــعُ الأَزْهَـــار شَمَّتَهُ وَتَارَةً تَقْبِيلا [59]

([57]) إيليا أبوماضي، الجداول، م س، ص 61 . 62.

****نسبة إلى أبيقور فيسلوف يونانيّ (270–341ق م) اربتطت فلسفته باللّذة والسّعادةِ سعيًا إلى تحرُّرِ الإنسانِ من مخاوفِهِ وأحاسيسِهِ التّي تُثيرُ فيه الرُّعبَ مثل الظَّواهر الطّبيعيّة والموت.

*****نسبة إلى عمر الخيّام (1124–1044م) شاعر ورياضيٌّ وفلكيٌّ مسلم، ولد بنيسابور، اشتهر برباعياته الشّعريّة التّي تَحثُّ على انتهاب اللّذات ومُعالجة الأوجاع بالتَّسابقِ إلى المتَعِ الدُّنيويّةِ.

([58]) زهير ميرزا، ديوان ابو ماضي شاعر المهجر الأكبر، م س، ص 604.

([59]) نفسه، ص 606.

وَيَقُولُ:

أَبْسِـــمِي كَـــالوَرْدِ فِي فَجْـــرِ الـــصبا وأبسِـمِي كَـالنَّجْمِ إنْ جَـنَّ المسَـاءْ
وإذا مـــا كَفَّـــنَ الـــثَّلْجُ الثَّـــرَى وإذا مـــا سَـــتَرَ الغَـــيمُ السَّـــمَاءْ
وَتَعَـــرَّى الـــرَّوْضُ مِـــنْ أَزْهَـــارِهِ وَتَـــوَارَى النُّـــورُ فِي كَهْـــفِ الشِّـــتَاءْ
فَاحْلَمِي بِالـــيَـــــفِ ثُمَّ ابتَسِـمِي تُخْلِقي حَوْلَكِ زهـــراً وشَـــذَاءْ (60)

هِيَ دعوةٌ لنسيانِ الوَاقِعِ الحزِينِ، والبحثِ عن نِقَاطِ ضَوءٍ وَسَطَ ظلامِ اليأسِ، وهي دعوةٌ على درجةٍ كبيرةٍ منَ الإنسانِيَّةِ التَّي عُرِفَ بها شِعرُ المهجَرِ.

ونخلصُ إذن من تفاؤليَّةِ أبي ماضي أنَّها تفاؤليَّةٌ لم تَتَخَلَّصْ من نزعَةِ الحُزنِ واليأسِ، غير أنَّ الشَّاعرَ اجتهدَ فيها وأخلصَ لها وراحَ يَعزِفُ على أوتارِهِ الطَّرُوبةِ مُفَجِّراً السَّعَادَة فِي النُّفُوسِ، بَاعِثاً الأملَ فِي القُلُوبِ، ومَاسِحاً الدَّمعَ مِنَ العُيُونِ، ومُشَيِّعاً البَشَاشَةَ فِي الوجوهِ، ومُجَمِّلاً الحياةَ والوجـودَ، وإنْ كـانَ يَتَسَـتَّرُ خَلْـفَ هَـذِهِ الـدَّعوَةِ بأحزانِـهِ وآلامِـهِ النَّاتِجـةِ مـن غُربَتِـهِ ومُعَانَاتِـهِ الشَّخـصِيَّةِ.

الخاتمةُ: –

عرضـنا في الـصفحاتِ السَّـابقةِ لمفهـوم التَّشـاؤمِ والتّفـاؤلِ مـن حيـثُ المعـنى اللُّغـويّ والفلسفيّ الفكريّ، وتأثُّرِ الأدبِ العربيّ المعاصر وخاصّةً الشِّعرَ مُتَمثِّلاً في شعرِ الشَّاعرِ إيليا أبي ماضي، وقد تبيّنَ لنا منَ الدِّراسةِ ما يلي:

1- تَنازُعُ الفلسفتينِ لنفسيّةِ الشَّاعرِ إيليا أبي ماضي بشكلٍ مَثَّل صِراعاً بينهما، مع غلبةِ واضحةِ فيما أرى لنزعةِ التَّشاؤمِ.

2- لم يكن تأثُّر الشّاعرِ أبي ماضي بهاتينِ النَّزعتينِ في إبداعهِ تأثُّراً سطحيّاً، بل كان تأثُّراً عميقاً ضارباً في جذور الشّاعرِ مِما كسا شِعرَهُ مَسْحَةً منَ العُمْقِ والتَّأمُّلِ.

(60) إيليا أبوماضي، الخمائل، م س، ص 143.

3- نتجَ من هذا التـ□ارعِ والتَّجادُلِ بينَ النَّزعتينِ داخل فكرِ الشَّاعرِ ونفسيّتهِ أن اضطربت عقيدتُهُ، فسقطَ صريعاً لفلسفةِ الشَّكِّ في كُلِّ قيمِ الوجودِ.

4- تناولَ الشَّاعرُ في مُعالجَتِهِ لهاتينِ النَّزعتينِ قضايا ميتافزيقيَّة كالموتِ، والبعثِ، والخُلُودِ وغيرها.

5- مَثَّلتِ النَّزعتانِ مَعيناً إبداعيّاً، وحافزاً فنيًّاً، نَجَحَ الشَّاعِرُ في توظيفهِ فأخرجَ لنا قـ□ائدَ شعريّةً بديعةً مثل قـ□يدة(الطَّلاسم).

المَصادِرُ والمَراجِعُ

1- جاد، حسن. الأَدَبُ العربيُّ في المَهْجَرِ، دار الطِّباعةِ المحَمَّدِيَّة، القاهرة، 1963م

2- عبدالدايم، صابر. أَدَبُ المهجَرِ، دار المعارف، 1993م

3- النّاعوري، عيسى. أدب المجهر، دار المعارف، القاهرة، 1963م

4- عبدالبديع، نظمي. أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، دار الفكر العربى، 1976م

5- صَيْدَح، جورج. أدبُنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، دار العلم للملايين، 1964م

6- سليم، جورج دِمِتْرِي. إيليا أبو ماضي، دراساتٌ عنه وأشعارُهُ المَجْهُولَةُ، دار المعاريف، القاهرة، 1977م

7- النَّاعُوري، عيسى. إيليا أبو ماضى، رسولُ الشِّعرِ العربيّ الحديث، بيروت،

8- الحاوي، إيليا. إيليا أبو ماضى، شاعر التساؤل والتفاؤل، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، 1972م

9- عابدين، عبدالمجيد. بين شاعرين مُجَدِّدَينِ، أبوماضي وعلي محمود طه، ، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1963م.

10- أبوماضي، إيليا. تبر وتراب(ديوان شعر)، دار العلم للملايين، بيروت، 1960م.

11- داود، أنس. التَّجدِيدُ في شعر المهجر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.

12- هَدَّارة، مصطفى. التَّجديدُ في شعر المهجر، دار الفكر العربي، 1977م

13- أبوماضي، إيليا. الجَدَاوِلُ(ديوان شعر)، دار العلم للملايين، بيروت، ، 1972م.

14- بلبع، عبدالحكيم. حركةُ التَّجديدِ الشِّعريّ في المهجرِ بين النَّظريَّة والتَّطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م

-15 أبوماضي، إيليا. الخَمَائلُ (ديوان شعر)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م.

-16 ضيف، شوقي. دراساتٌ في الشِّعر العربي المعَاصر، دار المعارف، 1979م.

-17 ميرزا، زُهير. ديوان إيليا أبوماضي، شاعر المهجر الأكبر، دار العودة، بيروت، دت.

-18 خفاجي، محمد عبدالمنعم. رائدُ الشِّعرِ الحديث، القاهرة ن ط1، 1953م.

-19 السّيد، محمد شفيع. الرَّابطةُ القَلَمِيَّةُ ودورُها في النَّقد العربيّ الحديث، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1972م

-20 حسن، محمد عبدالغني. الشِّعرُ العربيُّ في المهجر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955م.

-21 ديب، وديع. الشِّعرُ العربيُّ في المهجر الأمريكيّ، دار العلم للملايين،بيروت، 1993م.

-22 عباس، إحسان، ونجم، محمد يوسف. الشِّعرُ العربيُّ في المهجر أمريكا الشَّمالية، دار صادر، بيروت، 1967م.

-23 نشأت، كمال. شعر المهجر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.

-24 شعراءُ الرَّابطةِ القَلَمِيَّةِ، د . نادرة جميل السراج، دار المعارف، القاهرة.

-25 داود، أنس. الطَّبيعةُ في شِعرِ المهجر، الدار القومية، القاهرة، 1970م.

-26 خفاجي، محمد عبدالمنعم. قصةُ الأدبِ المهجَرِيّ، دار الكتاب اللُّبناني، بيروت، دت.

-27 هلال، محمد غنيمي. قضايا مُعاصرة في الأدب والنّقد، دار نهضة مصر الفجّالة، القاهرة،د ت

KAYNAKÇA

Abbas, İhsan ve Necm. Muhammed Yusuf. *El-Şi'r el-Arabi Fi'l-Mehcer Emrika el-Şimaliye*, Dar Sadır, Beyrut, 2. Tab, 1967.

Abduddaim, Sabir, *Edebu'l-Mehcer*, Dar el-Maarif, 1. Basım, 1993.

Abdulbedi, Nazmi, *Edeb el-Mehcer Beyne Asalet el-Şarki ve fikri'l-Ğarbi*, Dar el-Fikr el-Arabi, 1976.

Abidin, Abdulmecid, *Beyne Şaireyn Müceddideyn*, *Ebu Mazi ve Ali Mahmud Taha*, Matbaa Muhaymir, Kahire, 1063.

Belba, Abdülhakim, *Hareket el-Tecdid el-Şi'ri fi'l-Mehcer Beyn el- Nazariyye ve'l-Tatbikiyye*, el-Hey'et el-Mısriyye el-Amme Lilkitab, 1980.

Cad Hasan, *el-Edeb el-Arabi Fi'l-Mehcer*, Dar el-Tıbaa el-Muhammediye, Kahire, Birinci basım, 1963,

Davud, Enes. *El-Tabia fi Şi'r el-Mehcer*, el-Dar el-Kavmiyye, Kahire, 1970

Davud, Enes. *El-Tecdid FiŞi'r el-Mehcer*, Dar el-Kitab el-Arabi, Kahire, 1967.

Dib ve Dey'. *El-Şi'r el-Arabi Fi'l-Mehcer el-Emriki*, Dar el-İlm Lilmelayin, Beyrut, 2. Tab. 1993.

Dr. Nadire Cemil el-Sirac. *Şuara el-Rabıta el-Kalemiyye*, Dar el-Maarif, 3. Tab, Kahire.

Ebu Mazi, İlya, *el-Hamail (Divan Şi'r)*, el-Heyet el-Amme Li Kusur el-Sikafe, Kahire, 2004.

Ebu Mazi, İlya. *El-Cedavil (Divan Şi'r)*, Dar el-İlm Lilmelayin, Beyrut, 9. Tab. 1972

Ebu Mazi, İlya. *Tibr ve Turab (Divanu Şi'r)*, Dar el-İlm Lilmelayin, Beyrut, 1. Tab, 1960.

el-Havi, İlya. İlya Ebu Mazi, *Şairu'l-Tesaul ve'l-Tefaul*, Dar el-Kitab el-Lübnani, Beyrut, 1972.

el-Nauri, İsa, *Edeb el-Mehcer*, Dar el-Maarif, Kahire, 2. Tab, 1963.

el-Nauri, İsa. İlya Ebu Mazi, *Resulu'l-Şi'r el-Arabi el-Hadis*, Beyrut, 2. Tab.

el-Seyyid, Muhammed Şefi. *El-Rabıta el-Kalemiyye ve devruha fi'l-Nakd el-Arabi el-Hadis*, el-Meclis el-A'la Li Riayet el-Funun ve'l-Adab ve'l-Ulum el-İctimaiyye, 1972.

Hafaci, Muhammed Abdülmunim, *Kıssat el-Edib el-Mehceri*, Dar el-Kitab el-Lübnani, Beyrut, DT.

Hafaci, Muhammed Abdülmunim, *Raidu'l-Şi'r el-Hadis*, Kahire, 1. Tab, 1953.

Hasan, Muhammed Abdülgani. *El-Şi'r el-Arabi Fi'l-Mehcer*, Mektebet el-Hanci, Kahire, 1955.

Heddare, Mustafa. *El-Tecdid fi Şi'r el-Mehcer*, Dar el-Fikr el-Arabi, 1. Tab, 1977.

Hilal, Muhammed Ğuneymi, *Kazaya Muasıra Fi'l-Edeb ve'l-Nakd*, Dar Nahda Mısr el-Feccale, el-Kahire, Dt.

Mirza, Zuheyr. *Divanu İlya Ebu Mazi, Şair el-Mehcer el-Ekber*, Dar el-Avde, Beyrut, DT.

Neşet, Kemal. *Şi'r el-Mehcer*, Dar el-Mısrıyye Littelif ve'l-terceme, 1966.

Saydah, Corc, *Edebuna ve udebauna Fi'l-Muhaciri'l-Amerika*, 3. Tab, Dar el-İlm Lilmelayin, 1964.

Selim Corc Dimitri, İlya Ebu Mazi, *Dirasat anhu ve Eşaruhu el-Mechule*, Dar el-Maarif, Kahire, 1977.

Zayf, Şevki. *Dirasat Fi'l-Şi'r el-Arabi el-Muasır*, Dar el-Maarif, 12. Tab, 1979.